
الدكتور عبد الرحمن علي الحجي
نظرات
في دراسة التاريخ الإسلامي
طبعة ثالثة منقحة
مكتبة الصحوة

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات

في دراسة التاريخ الإسلامي



طبعة ثالثة منقحة

الدكتور عبد الرحمن علي الحجي

مكتبة الصحوة

الطبعة الثالثة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مكتبة الصحوة

النقرة ـ شارع بيروت ـ عمارة الزاحم ـ مقابل السنترال الجديد

ت : ٢٦١١٠٠٦ ـ ص.ب : ٣١٢٢ الرمز 32032

الفهرس

* * *

الإهداء

إلى التي أحْسَنَتْ صُحْبَتي

وَتَبْذُلُ جُهْدَها في مُعاوَنَتي

وَفَاءً وتَقْديراً ...

إلى زوجتي .



مقـــدّمة

لا أريد في هذا البحث أن أذكر نقاطـاً معينة من التاريـخ الاسلامي ثم أناقشها فأصححها أو أخطّئها ، كما لا أريد أن أجعل من تاريخنا مُتَهَماً موضوعاً في القفص دائماً أكون محاميه الذي يتولى عنه الدفاع ؛ وإن كان هذا وذاك سيكون جزءاً مـن البحث يشار إليه في مناسبته .

ولكني أردت أن ألقي نظرة عامة عـلى الخطوط العريضة الأساسية للتاريخ الاسلامي ، وعلى طريقـة تدريسه الحاليـة ونتائجها ، وعلى الأسباب التي دفعت إلى ذلك ، محاولاً إلقاء بعض الضوء عـلى الطريقة التي يجب أن َندرسه بهـا وأهمية ذلـك ونتائجه ، علماً بأن هذه الملاحظات أو النظرات عامـة وليس من الضروري أن تكون كلها مرتبطة ببلد واحـد أو بحالة واحـدة . إنني سوف أتناول هذه الأمور عـلى أساس أن التاريخ الاسلامي جزءٌ مـن الاسـلام ككل وغير منفصل عنه . وفي يقيني أن أيّ فصل للتاريخ الاسلامي عـن الاسلام ، ودراسته تفاريق واجزاء ، وعلى شكل أشلاء لِكائنٍ مات وَغدا في ذمة التاريخ ؛ إن مثل هذا

العمل يعتبر جهلاً بالاسلام وتاريخه وهو إساءة بالغة إليهما ؛ وليس مهماً بعد ذلك أن يكون مقصوداً ، أو غير مقصود .

وربما ليس من السهولة جمع كافة أطراف موضوع مثل موضوعنا الحالي في محاولة كهذه . إنه موضوع متنوع الجوانب ، متعدد المسارب ، وعملنا على كل حال محاولة وبداية آمل أن تكون ناجحة .

والخوض في مثل هذا الموضوع يقتضي أحياناً التوقف لمناقشة مسائل واضحة لا إشكال فيها ، بيد أن الأمر اقتضى الوقوف والمناقشة لما يثار حولها من شبهات وتتعرض له من إساءات ، لا على اعتبارها صواباً أو أنها تملك شيئاً من الوجاهة ؛ ولكن لما فيها من خطورة مستمدة من خطورة وأهمية الموضوع والناحية التي أثيرت حولها . ثم لما تجد من عناية البعض بها ممن لم يتيسر لهم الاطلاع على حقائق التاريخ الاسلامي ، وممن ينساقون مع ما هو شائع في الأوساط العلمية ، فيرددونها ، وتجد من الآخرين آذاناً صاغية فيرددونها هم أيضاً فتشيع ، وقد ينتج شيوعها صوراً شوهاء مقلوبة ـ ولو بحدود وفي أوساط معينة ـ أمام من لم يتيسر لهم دراسة حقيقة المسألة في وضعها التاريخي السليم ، مستقىً من الكتب الأمهات والمؤرخين الثقات . ولكن هذه الشبهات في كثرتها تبدو غبية ساذَجة سطحية

مضحكة أمام من تهيأ لهم دراسة التاريخ الاسلامي دراسة سليمة ، تستلهم وقائعه وحقائقه وخصائصه ومقوماته .

وليس هذا البحث دراسة أو سَرْداً لأحداث تاريخية ، أو حديثاً عن ناحية أو جانب معين من جوانب التاريخ الاسلامي ، بل هو نظرة عامة كلية على التاريخ الاسلامي ، والأسس التي يجب أن تقوم عليها دراستنا له ، وأهمية ذلك في حياة الأفراد والمجتمع والأمة ومستقبلها ودَورها ورسالتها .

ولله عزّ وجلّ الفضل ومنه التوفيق والسداد

الدكتور
عبد الرحمن علي الحجي





مَنابع دراستنا للتاريخ الإسلامي

إن منابع دراستنا الحالية ومشاربنا للتاريخ الاسلامي لم تعتمد فقط على أصوله الأولى التي ورثناها عن العلماء الثقات من الباحثين والمؤرخين المسلمين ومن المنصفين من غيرهم ؛ بل ربما أحياناً اعتمدت اعتماداً كبيراً ـ إن لم يكن كلياً ـ على منابع غير صافية كتبتها أيدٍ غير امينة ، نتيجة لأهوائها وأخطائها في فهم هذا التاريخ ، وأعني بهؤلاء على وجه الخصوص المستشرقين المغرضين من كل الأمم ومن تابعهم من ابناء هذه الأمة .

ولا بد من البيان هنا بأن في جهود بعض المستشرقين ما كان مخلصاً ونافعاً أحياناً ، وأن في بعض ما قدّموه خدمة لتراثنا ، مهما كانت الدوافع التي وراءه .

ليس التاريخ الاسلامي تاريخ فكر واحداثٍ وظواهر اجتماعية وأوضاع سياسية ودولٍ سادتْ ؛ بل أيضاً ـ وقبل ذلك ـ هو تاريخٌ عقيدة شاملة ، لها سماتها وخصائصها ومقوّماتها المميزة . ولذلك فإن نظرة هؤلاء المستشرقين عموماً تختلف عن نظرتنا نحن المسلمين ؛ فنظرتهم في كثير من الأحيان مجانبَةٌ للواقع . وكثير منهم لا يفهمون طبيعة هذه العقيدة فيخطئون في فَهْم تطبيقاتها ، حتى لو صح أنهم قد يفهمون إنتاجها الفكري والحضاري

ويَعترِفون به ويَعجبون بمستواه الرفيع ؛ فهم قد نشأوا في بيئة أخرى لها معتقداتها وإيحاءاتها ومفاهيمها ، أورثت بعضاً منهم تعصباً(١) ، وربما أوقفت البعض الآخر عن محاولة الكشف عن الحقيقة المحجوبة .

ثم هم لا يؤمنون بالاسلام ولا يعترفون به ولا بما ينتج عنه ، فنحن وهم مختلفون ليس فكراً أو ثقافة فحسب ، بل أيضاً ولاءً ومُنْطَلَقاً من الأساس . فنحن نؤمن بالاسلام وبكل الكيانات التي قامت به وعليه بكافة طاقاتنا وإمكاناتنا ، وله وحده ولاؤنا . وموقفنا وموقفهم من الأديان الأخرى مختلف ؛ فنحن نؤمن بكافة الأديان السماوية التي أنزلها الله على رسله ونجلّها ونحترمها كدين . وإيماننا بها وبأنبيائها شرط في إسلامنا . وهذه الحقيقة تَرُدّ كثيراً من الاعتراضات حول موقفنا من المستشرقين ومن سار في دربهم ونحا نحوهم وامتص أفكارهم أو نظر نظراتهم من أبنائنا ؛ من غير أن يحس ذلك لكثرة ما ارتوى من مشربهم . وهو متوفر في بلداننا في كثير من مصادر ثقافتنا ومواطن تعليمنا (٢) .

والقليل من المستشرقين ، الذي أفلت ــ كلياً أو جزئياً ــ من تلك المؤثرات ، وتخلص من موروثاته وأجوائه « العلمية » المشوبة

---

(١) راجع : محمد أسد « الاسلام على مفترق الطرق » ص٥٢ وما بعدها .

(٢) انظر : أبو الحسن الندوي « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية » ص ١١٩ .

التي ورثها ؛ نراه يعظّم الاسلام ، الأمر الذي قد يقوده إلى اعتناقه ، والأمثلة على ذلك كثيرة (١) . وهذا يقال للمنصف منهم . أما غير المنصف المتحامل فكلامه هراء ، وإن كنا ملزمين بالرد عليه بالحجة المبينة التي تجعل قوله هباء منثوراً .

والواجب ــ بالنسبة لكلا الفريقين ــ يقع على المسلمين والباحثين منهم . فعليهم أن يقدموا هذا التاريخ ــ وغيره مما يتعلق بالاسلام ــ بصورته الناصعة ، فيقبل المنصفُ الحقّ ، ويفهمه الآخرون ، فلا يجد المتحاملون رواجاً لما يقولون فيلزمون جحورهم منكمشين ويتطاير بهتانهم في الهواء .

وعلى كل حال فإذا كان لزاماً علينا أن نشكر المخلصين منهم ، فيمكن ــ تجوزاً ــ أن نشكر الحاقدين كذلك ، إذ أنهم نبهونا إلى قيمة كثير من تراثنا حيث اندفعنا إلى البحث عن الحقيقة التي تتحطم أمامها مفترياتهم . وهكذا فأمر الصنفين من المستشرقين وطريقتهما تكونان خيراً لنا إن أحسنا الانتفاع .

---

(١) انظر مثلاً : رجال ونساء أسلموا ، في ثلاثة أجزاء ، إعداد وترجمة عرفات كامل العشي (الكويت ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م) .



مخطّط الدسّ على التاريخ الإسلامي

طبيعته وهيكله :

سوف نرى كيف أن التاريخ الاسلامي أُصيب بنكبات كبيرة الحقت به الأذى ، وأوجبت علينا أن نقدم له خدمة كبيرة .

ولذلك فسيخصص جزءٌ كبير من موضوعنا لكشف الأعداء ومخططاتهم .

وهذه المخططات تشمل أموراً وهذه صورة لهيكلها :

أعداء : مَحليون وخارجيون

أهداف : القضاء على الاسلام ، بانتزاعه أو زعزعته

بواعث : الأحقاد ، والأطماع ، وسوء الفهم الذي أدى إلى الأخطاء

وسائل : وهي متنوعة وكثيرة وجهت نحو حصون الاسلام :

- عقائده
- حماته (رجاله ودوله)
- تاريخه
- حضارته

ثم : حركات وتيارات متنوعة خلال التاريخ قامت ضده .

ولا بد من الإشارة بأن هذه المحاولات قديمة قدم الاسلام ، وليس ما نشاهده في العصر الحاضر إلا امتداداً لها ، وحلقة في هذا الصراع بين الحق والباطل ، وإن اختلفت الوسائل : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾(١) .

مثال توضيحي :

اشبه الاسلام بشجرة أمتنّ الله بها واختار من يغرسها ، فكان أهلاً لرعايتها والتضحية في سبيلها . ذلكم هو محمد ﷺ ، الذي عبر عن هذا المعنى من التصميم المتفاني لحمل هذه الأمانة حين قال في يوم الحديبية ــ وقد منعته قريش من دخول مكة ــ :

« فَوَالله لا ازال أجاهدُ على الذي بعثني الله به ، حتى يُظْهِرَهُ ، او تَنْفرِد هذهِ السالفةُ » (٢).

ثم ازدادت رعاية هذه الشجرة وكثر حماتها ، الذين ورثوها أمانة وصانوها عقيدة ، خلفاً عن سلف . كما ازدادت فروع هذه الشجرة التي أورقت وزهت وآتت ثمارها ، وتعضدت وتعددت أغصانها الكثيرة .

فجذور الشجرة تمثل عقيدة الاسلام . وساقها يمثل اسسه ومصادره وأركانه ، وخطه وطريقه ، ونظرته الكلية إلى الكون

---

(١) الآية ١٨ من سورة الأنبياء .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٠٩/٢ ، السالفة : صفحة العنق ، وهو كناية عن الموت .

والانسان والحياة . وكل غصن فيهـا يمثل جانبـاً من الجوانب الاسلامية : تاريخ ، وفقه ، وفكر متنوع ، وخلق ، ونظم لكل جوانب الحياة وإطاراتها ؛ للفرد والأسرة والمجتمع ، وللدولة في سياستها الداخلية والخارجية ونوع علاقاتها وأسس هذه العلاقات ، إلى غير ذلك من تفاصيل .

وإن الذي يسري في عروق هذه الشجرة وأغصانها وأوراقها وثمارها هو روح العقيدة الاسلامية ، والارتباط بالله تعالى والعمل ابتغاء مرضاته .

وكل جزء أو شعيرة من هذه الشجرة لا تسري فيها هذه الروح فهي ليست من الشجرة وغريبة عن جسمها وطبيعتها . « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ »(1)

فهذه الشجرة الأصيلة النبت الصافية النبع مبـاركة منيرة خالصـة للاسلام لانصيب فيها لغيره أبداً .

وما دام حماة هذه الشجرة يقظين واعين لكل ما يتعلق بهـا وبمكنوناتها ، فهي تعطي ثمرها للناس كافة ؛ مسلمين وغير مسلمين ؛ ممن يتفيؤون وارف ظلالها . ويوم يغفل حماتها عنها فان الأعداء الحاقدين الطامعين يحاولون القضاء عليها ، على شكل جماعي وحلف

---

(1) الآيات ٢٤ ـ ٢٦ من سورة ابراهيم .

أثيم غير مقدس ولا فاضل ، فهم يتفقون عليها ويتقاسمون الأعمال بانتظام واتساق حتى يتم لهم القضاء على مكنونات هذه الشجرة ومعطياتها الخيرة . أو على شكل عمل منفرد ، فيسدد كل واحد سهامه نحوها ، وينالها بأذاه بين الحين والآخر .

لقد بذل هؤلاء الأعداء الجهود في زرع الألغام والأمراض في أرضها وحقن أغصانها بالسموم . وقبل ذلك هاجموا من بقي يقظاً من حماتها ، بعد أن شغلوهم أيضاً في تنقية ما دسوا على الشجرة في الوقت نفسه .

● ● ●

كانت الحرب التي شنها الأعداء ضد الاسلام حرباً في العقيدة الأولى : في الله والقرآن والنبوة ، وفي فقهه وتشريعه وتراثه ، وفي فكره ونظرته للانسان والكون والحياة . وكذلك في تاريخه والتهجم على دوله ورجاله والطعن فيهم والتشكيك في أعمالهم وفي نواياهم .

وهكذا كان التاريخ الاسلامي احد الجوانب التي لها النصيب الوافر من هذه السهام الظالمة المسمومة . وذلك لأنه الجانب الذي بدت فيه الصورة العملية التطبيقية للاسلام . فالتاريخ الاسلامي هو تاريخ الشريعة الاسلامية التطبيقي الواقعي وكل انحراف عن الطريق السوي أصاب هذا التاريخ كان نتيجة للانحراف عن تلك الشريعة . فدراسة هذا التاريخ هي دراسة للاسلام من الناحية التطبيقية ، وهي دراسة للذين أخلصوا له ولمن اساؤوا إليه او باسمه ، من خارجه أو داخله ، وكشف لوسائلهم .

ولا أعني هنا بالتاريخ الاسلامي الجانب السياسي منه فقط ، ولكن كل ما أنتجه الاسلام ووجه إليه المجتمع من وجوه المناشط الحيوية والفكرية والعملية ؛ فيداخل المجتمع الاسلامي أو مع غيره من المجتمعات ، وفي حالات السلم والحرب .

ولذلك لابد من القول بأنه لايمكن أن يفهم التاريخ الاسلامي فهماً واقعياً نقياً بدون معرفة شيء عن عقيدة الاسلام وشريعته .

وتدريس التاريخ الاسلامي هو بيان لهذا كله ، وترسيخ للمعاني التي تحققت في واقع حياة المسلمين وأثرها ، وفيه تنبيه للبعد عن مهاوي الانحراف والأخطاء وأسبابها . وإن ذلك يغذي الروح الاسلامي ، ويقوي المعاني الاسلامية في نفوس الجيل بكل أبعادها النظرية والتطبيقية .

وإن دراسة كهذه تجعل المسلمين يرفضون التهم التي يراد لها أن تروج في بلاد الاسلام ، وتجعلهم يرفضون المبادىء والأفكار التي تبدو أمام الاسلام كفقاقيع الماء ، لايمكن أن يردد أمثالها إلا الببغاوات أو العبيد ، عبيد التقليد والولاء الأعمى .

ودائماً يلجأ العجزة والمفلسون إلى الالتواء والافتراء هرباً من مواجهة الحقيقة التي لا يملكون منها شيئاً . ولذلك رأى هؤلاء أنه لابد من دراسة التاريخ وتدريسه بشكل معين لايحقق إلا أغراضهم . إما باخفاء حقائق كثيرة أو بالاقتصار على موضوعات معينة وعرضها بأسلوب خاص ، ثم توجيه الأنظار إلى تواريخ الأمم الأخرى لزرع الاعجاب بها ، وصرف الأنظار إليها .

● ● ●

وبحثنا هذا ــ وهو نظرات وملاحظات عامة ــ يعتبر مبدئياً جزءاً مما يتعلق بالتاريخ الاسلامي على شكل جهد فردي قليل . وقد يجد فيه البعض شيئاً جديداً وقد لايجدون ، بيد أن المهم أنه يعتبر تأكيداً وإيضاحاً ووصفاً لكثيرمن الأمور في تاريخنا الاسلامي ؛ هذه الأمور ــ كلها أو بعضها ــ كانت مفرقة هنا وهناك ، فجاء هذا الكتاب فجمعها ونسقها ووضعها بين يدي الدارسين .

ووضع الشيء في مكانه في الوقت المناسب أمر مهم جداً ؛ وإلا سنكون كذلك الخطيب المفوه الذي استدعي لالقاء خطبة . وما إن صعد المنبر حتى أرتج عليه ولم ينبس بكلمة . وبعد برهة نزل عن المنبر ، وبينما هو ينزل درجاته بتثاقل توقف وأنشد :

إذا لم أكن فيكم خطيباً فإنني
بسيفي إذا جد الوغى لخطيبُ

وعندها قال له بعض الحضور : لو قلتها وأنت على المنبر لكنت أخطب الناس .

وهكذا فات هذا الرجل أن يكون أخطب الناس أنه تأخر في قول ماقال لحظات قليلة .

والمرجو ألا تكون هذه النظرات والملاحظات قد فات أوانها . وأن تجد من همم الباحثين وعزائمهم ما يزيدها عمقاً وتوضيحاً وتأصيلاً في ذهن القارىء المسلم .

● ● ●

إننا ندرس في أحيان كثيرة تاريخنا الاسلامي من وجهة نظر غير إسلامية . ولقد وجدت في بلداننا الاسلامية أوضاع مخالفة للاسلام

ولذلك كادت تنفصل حياتنا عن الاسلام الذي أريد له أن يحصر في نطاق القلب والشؤون الفردية ، على طريقة « الاسلام الامريكي » أو « الاسلام الروسي » أو « الاسلام القومي » أو غيرها من الألوان التي ستلدها الليالي المظلمة .

لقد تلقينا كثيراً من تاريخنا الاسلامي عمن لا يؤمن بالاسلام أصلاً ، أو يفهمه فهماً محدوداً ، بل قد يكون عدواً من أعدائه . وهؤلاء وأولئك قد يجهلون كثيراً من حقائقه أو يتعامون عنها .

ولقد كان من هؤلاء من قصدوا أن يشوهوا التاريخ الاسلامي ويعرضوه مطاعِنَ وشبهات ومطامع وغزوات . فتلقينا عن هذه المصادر واعتبرناها أحق بالرواية والرعاية . ولا أعني بهذا المتعصبين المتحاملين من المستشرقين (اليهود والصليبين) وحسب، بل وكذلك كل من واكبهم وسار في دربهم مردداً مايقولون وما يكتبون .

فلا يمكن إذاً أن يكتب هذا التاريخ أو يفهم أحداثه من لايفهم عقيدته وطبيعته . ولذلك ارتفعت عقيرة البعض من الجاهلين بـه بتفسيره وفهم مجرياته على أسس ونظريات خاطئة،وخاصة بالنسبة للاسلام . وهم بذلك يريدون أن يلبسوا الاسلام أثواباً مستعارة وهنداماً مرقعاً . وتلك مهما زخرفت واتخذت ألواناً خادعة ، إذا كانت تصلح لغير الاسلام . فهي لا تصلح له بحال .

وليس في هذا الحديث أي هجوم على أحد ، وإنما هو بيان لمواطن الحق والصواب والباطل والانحراف . نقول للمحق المحسن أحسنت ونشكره عليه ، ونقول للمخطىء المسيء أسأت ونلومه ، وإذا أصر فإننا نفضح باطله ونكشف دسه وخبثه .

وسائل الأعداء

سلك أعداء الاسلام والتاريخ الاسلامي سبلاً متعددة واتخذوا وسائل متنوعة لتحقيق أهدافهم . وهي سُبُلٌ متشابكة متصلة يقوي بعضها بعضاً ، منها : التشويه ، والتجهيل ، والتشكيك ، والتجزيء ، والإهمال .

التشويه :

عرض أعداء الاسلام من التاريخ الاسلامي مقاطع مشوهة عن حقيقتها . ودرست مقاطع مختارة كالمعارك مثلاً . وعرض كل ذلك بأسلوب وسياق معينين ، ليستقر في نفس الدارس أن ليس في تاريخ الاسلام غير المعارك وليس هو إلا تاريخها . وبدت كثير من الكتب وكأنها تاريخ حروب فقط ، ووصف الحروب يغمر أكثر مساحاتها .

كما صورت هذه المعارك الحربية بغير صورتها الاسلامية البناءة التي تخدم الحق وتحميه وتصونه ، لتزيل عنها صفة الجهاد في سبيل الله ، وتجردها من غايتها السامية التي هي نشر دعوة الاسلام ابتغاء مرضاة الله تعالى(١) ، فالجهاد في نظر هؤلاء سيف ودماء وليس

---

(١) راجع كتاب « الجهاد في سبيل الله » لأبي الأعلى المودودي ص ١٣ — ١٤ .

هدايةً وبنــاء . وأين الهداية من السيف يرن في الأفق ، ويبرق لمعانه في غبار المعارك ؟ وأين البناء والدماء تسيل ويدفع بالناس إلى التسابق في القتل ، لتقليل عدد السكان كعلاج لقلة الغذاء ؟ كما يقول البروفسور مونتغمري واط .

التجهيل :

طويت كثير من الصفحات الناصعة من تاريخنا ، فكانت دراسة الأعداء له تقفز من مواقــع إلى أخرى قفزاً عشوائيــاً غير منظم ، أهملت فيه أحداث ذات عبرة ، وفيها الصورة الصحيحة لواقع الاسلام وحقيقته .

فهل نعرف ـ مثلاً ـ عن حياة الرسول الكريم عليه الصــلاة والسلام والدعوة الاسلامية في مكة غير تعداد الأحداث : بدايــة الوحي ، إسلام خديجة ولقائها لورقة بن نوفل ، سعيه ﷺ بين الناس ودعوته لهم إلى هذا الدين ، مقابلات متعددة مع قريش ، الهجرة إلى الحبشة ، المقاطعة ثم الهجرة إلى المدينة . علماً بأن هــذه الأمــور تعرض بأسلوب جاف ، من غير تحليل أو تعميق لمدركات القوة التي كانت تسير هذه الأحداث والغاية التي كانت من أجلها .

أما حياته ﷺ المدنية ، فماذا نعرف عنها غير المعارك إلا ماندر؟ ماذا نعرف عن اسلوب دعوته والاتجاهات والميادين التي كان يتحرك فيها ويرتادها ، والخطوات التي اتخذها والأساليب التي اتبعهــا لنشر هذه الدعوة ؟ وكيف كان يقضي يومياته المليئة بالحركة والعمل الاسلامي ؟ وأتباعه الذين أسلموا كيف كانوا ينفقون حياتهم ، وكيف

صمدوا ، ومصادر هذا الصمود ، وصور الأذى الذي تحملوه ، ومواقف المشركين ووسائلهم في حرب الدعوة . وماذا نعرف عن تباين إمكانيات كلا الفريقين ونوعية القوى الاسلامية ومصادرها ؟ وماذا نعرف أيضاً عن المستوى الجديد في فهم الانسان وغايته والمعاني البناءة والخلق العظيم والمفاهيم الرفيعة وسعة حدودها أمام ضيق الجاهلية ودنسها وعفونة الشرك ونجسه وظلام العصبية وارتباطاتها؟

فكم نعرف عن سمية ، اول شهيدة في الاسلام (١) ؟ أو عن المهاجرة التي تركت أهلها في مكة ، وكانوا غير مؤمنين ، فارة بدينها إلى المدينة المنورة ؟ وتلكم هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٢).

ومن ناحية أخرى ، كم نعرف عن (لالا فاطمة) التي قادت الثورة الجزائرية المسلمة سنة (١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م) فاضطر الحاكم الفرنسي في الجزائر لاخمادها بنفسه (٣) ؟ أو عن فاطمة بنت محمد الفهري ـ وتدعى أم المؤمنين ـ التي بنت جامع القرويين (٤) في فاس بالمغرب ، على نفقتها في رمضان سنة ٢٤٥ هـ ، وكانت صائمة طوال فترة البناء (٥) ؟

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٣٢٠ ، علي سامي النشار ، شهداء الاسلام في عهد النبوة ، ص ١٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢/٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(٣) راجع : محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ، ٢/٢٤٩

(٤) وهو الجامعة المشهورة .

(٥) محمود شيت خطاب «قادة فتح المغرب العربي»، ٢/١٧٨ .

ولعل ما نعرفه عن اي منهن اقل مما نعرف عن جان دارك الفرنسية . ولعل ما نعرفه عن الثورة الفرنسية والوحدات الأوروبية وحركاتها القومية ومعاهداتها اكثر مما نعرفه عن الدعوة الاسلامية ومراحلها واحداثها وصراعها مع المجتمع الجاهلي المناهض لها بكل قواه ، وذلك حين بذلت الجاهلية في سبيل ذلك من الجهد منتهاه . ورغم ذلك استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار بفضل ثبات رجالها وبذلهم الغالي والرخيص من أجلها .

ثم إننا قد ننظر إلى تواريخ الأمم غير الاسلامية نظرة إكبار وتعظيم اكثر مما نوليه الى الاسلام وداعيته الأول ﷺ والذين استجابوا له من الاكبار والتعظيم . أليس ما ننفقه من السنوات الدراسية في دراسة تاريخ الغير ، وما نحمله من الكتب المدرسية في هذا المجال هو في بعض الأحيان أكثر مما نتجه به نحو التاريخ الاسلامي ؟ إن هذا يحصل حتى في المدارس الثانوية ومعاهد المعلمين وفي المراحل الجامعية ! حتى لقد وجد من المدرسين الذين يدرسون التاريخ الاسلامي من يجهل كثيراً من وقائعه ، ولا يفقه من هذا التاريخ إلا الشيء القليل !!

ومن المستحسن أن نشير إلى مسألة يعتبرها البعض هامشية بيد أن لها مدلولاً خطيراً ، فهي تدل على الجهل الخطير بهذا التاريخ ؛ إن قسماً من هؤلاء ينطقون بعض الأسماء بصورة واضحة الخطأ : عَقَبَة بن نافع ، موسى بن نَصير ، غار حَرّاء ، يوم حُنين وغيرها. وصوابها : عُقْبة بن نافع ، موسى بن نُصير ، غار حِراء ، يوم حُنَين . بل لقد وجد بين مدرسي التاريخ الاسلامي من المسلمين من

يهاجم هــذا التاريخ ويستهين به . وهــذا أشد خطراً ممن يهاجم الاسلام وتاريخه من غير المسلمين . فهو محسوب على هذه الأمــة يحمل اسمها وينتمي إليها ، لكنه في حقيقته عدوٌ لها .

التشكيك :

اما في هذا المجال فقد وجهت السهام إلى التاريخ الاسلامي ورجاله ، كما وجهت إلى المؤرخين المسلمين انفسهم حفظة التراث ، فأثيرت الشبهات حول كثير من المواقف الاسلامية التي هي مصدر افتخار ومنبع فضيلة ، كخروج المسلمين لملاقاة عير قريش وموقف الصحابة يوم سقيفة بني ساعدة .

إن أعداء الاسلام يقصدون هدم هذا الدين ، فسلكوا لذلك كل الوسائل مهما كانت مجافية لروح العـلم واستقامة الخلق . والمنهج العلمي عندهم هو مايخدم الغرض . وحين يأتي الأمر إلى الاسلام أو يكون موضوع البحث فالأسلوب العلمي حين ذاك هــو الطعن (١) . إنه من المؤسف أنه لم يتصدّ لهذه الأساليب ، ليقوّم معوجها أو يسفه انحرافها الواضح ، من المستشرقين الكثيرين غير القلة القليلة منهم ؛ علماً بأنهــم جميعاً يدّعون الأسلوب العلمي ؛ فكيف ارتضوا إذاً امثال هذه التشويهات الباطلة ، وهم يعرفون الحقيقة كلها أو جزءاً منها ؟

لقد تعددت أساليبهم واتخذ قسم منهم لنفسه في البحوث

---

(١) محمد أسد ، « الاسلام على مفترق الطرق » ص ٥٣ ، ٦٠ ــ ٦١

منهجاً خاصاً هو عندهم المنهج العلمي المفضل . وهذا المنهج هو أن يأتي « إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقلبها ـ متعمداً ـ إلى عكسها ، وكلما كان الخبر أوثق كلما بدت الرغبة ـ قوية جامحة ـ في البراعة من ذلك الذي يتبع هذا المنهج » (١) إنه تماماً « منهج العكس » . هل يجهل أحد مثلاً شجاعة المسلمين عموماً وشجاعة الرسول ﷺ خصوصاً ؟ يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « كنا إذا احمرت الحدق واشتد البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون منا أحدٌ أدنى من القوم منه . » (٢) والحقيقة أن هذا الموضوع وأمثاله غني تمام الغنى عن أي بيان . ومع ذلك فان القسيس لامانس « يصفه بعدم الشجاعة » (٣)!!

ولا بأس هنا من تناول مسألة اخرى تتعلق بالشجاعة .

إن للشجاعة ميادين عديدة ، وميدان الحرب واحد منها . إن الشجاعة تتجسد في مناداة الرسول الكريم ﷺ بدعوة مخالفة تمام المخالفة لكل ما عند العرب وخاصة قريش التي عرفت بسطوتها وقوتها . وكانت معرفته ﷺ بذلك منذ البداية ، يوم حمّلهُ الله الدعوة إلى الاسلام حين قال له : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .

---

(١) اتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ، ص٥٠

(٢) مسندالامام أحمد بن حنبل ، ١/٨٦،١٢٦ وفيالصحيحين « أنه ﷺ كان أشجع الناس » انظر ايضاً : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦/٥٩ .

(٣) اتيين دينيه وسليمان ابراهيم نفس المصدر ، ص ٥١ .

إنها دعوة تثيرهم ضده . وكان يعلم أنه سيلاقي كل صنوف العذاب وانواع التنكيلات البدنية والنفسية وكل الوان الإغراء والفتن ؛ ومع ذلك فكان صموده ﷺ قوياً راسخاً طيلة فترة المواجهة مع المشركين ، في مكة وغيرها ، وما أعظم صبره وتحمله يوم الطائف حين ذهب إليها في السنة العاشرة للبعثة لعرض الاسلام على أهلها ، فقابلوه بالإهانة والطرد والضرب بالحجارة ، حتى دميت قدماه الشريفتان ، وما أعظم ما خاطب به ربّه ــ سبحانه ــ يومها : « ... إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ... لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » (١) .

إن هذه الشجاعة تفوق شجاعة الحرب ، ومن يستطيعها لاترهبه الحرب والطعان ولا منازلة الشجعان . وكذلك كانت شجاعة أتباعه الكرام ، حملة الدعوة المباركة ، فقد ظهرت منهم ضروب من الشجاعة لم يسجل التاريخ لها مثيلاً ، وكانوا في ذلك تلاميذ نجباء لمربيهم ومعلمهم المصطفى ﷺ .

كان الاسلام ــ وهو الدعوة التي حملها رسول الله وأصحابه ــ أعزل ، لا شيء معه من هذه القوى والامكانيات التي بيد الجاهليين ، أضف إلى ذلك غربة هذه الدعوة الكريمة وجدتها ومخالفتها ومنافرتها لما ألفوه . ورغم ذلك كان الاستمرار والانتصار ، ثم الترفع عن الانتقام ، إحسان في المعاملة وعفو عند المقدرة .

إنها ألوان رائعة من الشجاعة لا تستطيع أن ترقى إليها النفوسُ المتدنية ، ولو كانت قويةً في حمل السيف والضرب به

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٤٢٠ .

في الميدان . فتلك شجاعة أخرى نفسية وخلقية انتصر صاحبها في أخلاقه وفي تحقيق مثله الاسلامية الربانية وإخضاع النفس لها وتحمل كل شيء في سبيلها ، وهل يمكنه الوقوف الثابت في ميدان الدعوة إلا مَن انتصرت في نفسه هذه العقيدة وأخضعتها لمثلها ؟

فهل إن قريشاً والمعارضين للدعوة الاسلامية كانوا هم وحدهم الشجعان ، لأنهم وثنيون وأعداء للاسلام ، ؟ وهل عند تحولهم الى الاسلام فقدوا شجاعتهم كما يرى الأب « لامانس » ؟!

● ● ●

لقد استغلت أيضاً بعض المواقف في أحداث التاريخ الاسلامي ، فيها نقاش وأخذ ورد ؛ فأطال أعداء الاسلام الوقوف عندها والتزموا جانباً معيناً يعينهم على تحقيق أغراضهم ، كمسألة خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة في حروب الردة . إنه حتى لو أخطأ خالد التصرف فإن ذلك كان مرفوضاً من قبل المسؤولين ، ولكن يبدو أن كل ما يتعلق بهذا الموضوع مفتعل ، وأن هذه المسألة ليست بالشكل الذي سِيقَت به ، ولعل فيها أموراً هي بحاجة إلى تجلية جوانبها(١) .

ولكن لماذا يطيلون الوقوف أمام مثل هذه الأحداث دون غيرها ؟ ولا يتوقفون مندهشين معجبين أمام المواقف الاسلامية الرائعة الساطعة ؟ لماذا وقفوا من بعض الأحداث المسطرة

---

(١) راجع عن هذا الموضوع : ابن الأثير ، الكامل ، ٣٥٨/٢ ، سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ١٧١ ؛ صادق عرجون ، خالد بن الوليد ، ص ١٤٧ وما بعدها .

في التاريخ الاسلامي – والتي لم تنل حظها من التحقيق العلمي – هذا الموقف المشين ؟ لماذا يقفون منها تَوقّف ضنين ضاع في التُرْب خاتمُه ؟!

لماذا لا يطيلون النظر في موقف قريش من المسلمين أيام المقاطعة في مكة التي دامت ثلاث سنوات ؟ تحمّل المسلمون فيها ما لا يمكن تحمله بدون تلك الطاقة الإيمانية التي استمدوها من عقيدتهم الاسلامية . حتى ليروى أن المسلمين مِن شدة الجوع اكلوا أوراق الشجر وشدوا على بطونهم الحجر(۱) .

ولعل المقاطعة وغيرها من الوسائل القاسية وموقف المسلمين وثباتهم خير دليل على نصاعة الاسلام وقوته وسموه ونوعية أتباعه ، كما هو دليل على اخفاق قريش والمشركين وعجزهم وإفلاسهم . وهو اشبه بإخفاق وإفلاس هؤلاء الذين يهاجمون اليوم الاسلام وتاريخه بالكذب والافتراء .

لماذا لا يكون الحديث عن قريش التي ارتكبت هذه الجريمة مع الذين يَدْعونها إلى الهدى وسلكوا اليه أقوم السبل وأرَقّها . فأنكرت قريش كل ذلك كما أنكرت صلةَ الرّحِم وكلّ الصلات الانسانية الأخرى ، حتى تلك التي لا يتخلى عنها الحيوان الأعجم . اتبعَتْ قريش كل ذلك مع مَن عرفته انساناً كريماً نبيلاً منذ نشأته الأولى . وهي التي أطلقت عليه في الجاهلية الأمين .

---

(۱) راجع : امين دويدار ، صور من حياة الرسول ص ۱۸۲ .

وهو نفسه الذي تعرض للموت على يديها أكثر من مرة(١) . ولم تنفع معها مقابلة هذه الاساءات بالخلق القويم .

● ● ●

وكذلك الأمر بالنسبة إلى حروب الردة وموقف مسيلمة الكذاب .

لماذا لاتوَجّه الانتقادات مِن قِبل هؤلاء الأعداء إلى أعمال المرتدين الشائنة ؟ أم لعلها تلقى منهم المديح وتكون موضع التكريم والإطراء(٢) ؟ نعم لقد حصل ذلك ، لأنهم أولياء للجاهلية أنصارٌ لها ، أعداءٌ للإسلام مبغضون له !!

ماذا عن وقفة المسلمين الرائعة وثباتهم في هذه المحنة ـ حروب الردة ـ التي تألبت عليهم فيها الغوغائية ، ورمتهم عن قوس واحدة تياراتٌ حاقدة ؟

لا شيء عن ذلك . لماذا ؟ لأن هؤلاء الأعداء مشغولون باختلاق مؤامرة وتوزيع أدوارها وحياكة خيوطها ، فتلك الأمور هي بيت القصيد من بحوثهم . ذلك أن أبا بكر ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ عملوا مؤامرة لحصر الحكم فيهم (٣) ! !

---

(١) ابن هشام . السيرة النبوية ، ١/٢٩٠ـ٢ ، ٤١٦ ، ٤٨٢ .

(٢) اتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ، ص٥٣

(٣) ذلك ما قاله المستشرق الفرنسي القس هنري لامانس ورَدده آخرون . انظر : محمد ضياء الدين الريس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص ٢٧ . وستأتي مناقشة هذه المسألة .

ولكن لماذا لا يتحدث هؤلاء المستشرقون (غير المنصفين) عن جرائم دولهم والأساليب الوحشية « المتمدنة » ! التي يعاملون بها شعوباً آمنة(١) ؟ ولكن كيف يمكن أن نطالبهم بذلك وإن منهم من ساعد وعمل على خدمة هذا الاستعمار بطريقة أو أخرى ؟ كيف يمكن ذلك و « الاستشراق كمنهج عقلي تولد من أبوين غير شرعيين : التبشير الذي خطط له ، والاستعمار الذي غذاه . ولا زال يعمل من أجل الفرض الذي أوجد من أجله الا وهو تقويض أركان العقيدة الإسلامية ، وإحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة ، وتكوين شبكة فكرية في العالم الإسلامي تدور في فلكه وتبشر بتعاليمه وتستمد منه . »(٢)

لقد كان لهذه الحملات تأثير على المسلمين في فهم تاريخهم فهم قد اعتمدوا على كثير من مؤلفات غير المخلصين للاسلام . فكم من كتبنا التي نعتمدها صورت لنا حوادث رائعة ـ من مثل ذلك الثبات العملاق والتعالي المتسامي الذي أبداه المسلمون أمام ضغائن قريش خلال المقاطعة وحين الردة مثلاً ـ تصويراً غير صحيح(٣) ؟!

---

(١) انظر : « الجهاد في سبيل الله » لأبي الأعلى المودودي ص ٤ ـ ٧ .

(٢) عرفان عبد الحميد (المستشرقون والإسلام) . مجلة الوعي الإسلامي ، ٣٥/١٦ .

(٣) راجع : اتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ، ص ٥٤ .

ويوم مات أكبر نصيرين للرسول ﷺ (عمه أبي طالب وزوجه خديجة) في عام الحزن نالت منه قريش مالم تنله من قبل ، فقد دخل ﷺ يوماً بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته وجعلت تزيله عن رأسه الشريف وتبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : « لا تبكي يا بنية ، فإن الله مانعٌ أباك . »(١) إن ثبات النبوة هذا وصمود العقيدة لا يحظى باهتمام هؤلاء الأعداء ، فهم مشغولون بتشويهه والتشكيك بهذا التاريخ لأنهم يهدفون من وراء ذلك إثارة القلق وزعزعة الثقة في نفوس المسلمين والشبيبة المسلمة بهذا الدين الذي أكرمهم الله به .

● ● ●

إن الحرب ضد التاريخ الإسلامي شملت حماة الإسلام وتاريخه متمثلاً في قادته وعلمائه ودوله ، مبتدئين بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فقد شككوا في أصل دعوته ومصدرها وفي كل النوايا والأهداف ، والذي لم يستطيعوا التشكيك فيه أوّلوه تأويلاً يسير في نفس خطهم . وذهب تشكيكهم حتى في حياته ﷺ قبل الدعوة ، وتوقفوا كثيراً عند كل هدف ليطلقوا عليه ما أمكن من سهامهم . ثم امتد تشكيكهم الى دعوته وحياته المكية والمدينة ، ثم تناولوا تصرفات الخلفاء من بعده والقادة المسلمين ، ثم الدول التي حملت مشعل الهداية الإسلامية .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤١٦/١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٩/٢ ؛ أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، ص ١٩٠ .

فهذا أحد المستشرقين ـ ويبدو أنه « قسيس بلباس مدني »(١) ـ يعتبره البعض من المنصفين الذين أدركوا أبعاد الإسلام ودافعوا عن قضاياه ؛ وممن ذهب هذا المذهب الاستاذ العقاد في كتابه « ما يقال عن الاسلام »(٢) ولهذا المستشرق عدة مؤلفات عن الاسلام والتاريخ الاسلامي باللغة الانكليزية . ذلكم هو البروفسور السالف الذكر مونتغمري واط الذي عمل عميداً للدراسات العربية والاسلامية في جامعة أدنبره في بريطانيا .

يقول هذا المستشرق في كتابه «محمد في مكة»ما مؤداه: أن محمداً كان يذهب إلى غار حراء لا ليتحنَّث ـ يتعبد ـ كما هو معروف ؛ لكن للاصطياف !!؟ معللاً ذلك بأن أغنياء مكة كانوا يذهبون إلى الطائف هرباً من حرها ، أما هو فلم يكن في وسعه مجاراتهم لفقره ، ولذلك كان يذهب إلى غار حراء ليصطاف(٣) .

بخٍ بخٍ لهذا البحث الواعي الرصين ، والمستوى العلمي النزيه !!

ولولا أن هذه المسألة لا تستحق أي شيء من الاهتمام ، لكنّا أشبعناها بحثاً وأتينا عليها من القواعد ، ولكني ربما أجدني

---

(١) انظر : مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص ٥٤ .

(٢) ص ٢٢٤ (الطبعة المصرية) .

(٣) انظر كتاب « محمد في مكة » الجزء الأول صفحة ٨١ ، تعريب شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية . بيروت .

مضطراً للوقوف موقف ذلك القاضي حين أُحضر إلى محكمته قائد عسكري متهم باستسلامه للعدو في ساحة الحرب. فقال للقاضي: إن لديّ مبررات قد تصل إلى عشرة تدعم صواب تصرفي، أولها: نفاد الذخيرة. فقال له القاضي: كفاني ماتقول لتبرئتك، ولست بحاجة إلى سماع المبررات الأخرى.

أقول: سيكون الرد على «البروفسور واط» مثل رد هذا القائد، وذلك: إن خديجة زوج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام التي أحبته كل الحب، وأعجبت به كل الاعجاب كانت مستعدة لتهيئة كل ما يريد خصوصاً وأن هذه الزوجة الوفية «كانت كثيرة المال وافرة الثراء، لها تجارة واسعة ترسلها إلى الأسواق مع ما تُرسله قريش من قوافلها، وكانت قافلتها أحياناً تعدل قوافل قريش بأجمعها»(١).

ترى أما كان بإمكان هذه الزوجة أن تمده بما يوصله إلى الطائف للاصطياف فيها، وتجنبه مشقة صعود الجبل للوصول إلى الغار الذي يستغرق مع الجهد المنهك ساعة من الزمن أو تزيد للوصول إليه(٢)؟ وهل بعد هذه التفاهة المضحكة وأسلوب البحث المثير للسخرية نطلق على هذا وأمثاله بأنهم من قادة الفكر، وزعماء البحث العلمي والإنتاج الأكاديمي للوصول إلى الحقيقة؟ أو انه

---

(١) امين دويدار «صور من حياة الرسول» ص ٨٥، ٨٩ــ٩٠.

(٢) عن هذا الغار راجع: «صور من حياة الرسول»، ص ١١٨ ــ ١١٩.

من المنصفين الذين عرضوا الإسلام بأمانة ، ومن المعتدلين الذين دافعوا عنه(١) ؟

• • •

ويتحدث أعداء الإسلام عن المنافقين في التاريخ الاسلامي . فهم في نظرهم « أبطال الوطنية »(٢) ؟ ويذكرون زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول ـ الذي أثار عدداً من الفتن ـ بالثناء عليه . لكنهم هل يذكرون الموقف المؤمن المشرف لابنه وسميّه (عبد الله) حين بلغه موقف أبيه في غزوة بني المصطلق (المريسيع)(٣) ؟ لقد طلب هذا الابن من الرسول ﷺ أن يقتل أباه ، فأبى الرسول الكريم ، إذ لم يرد أن يتحدث الناس ويقولون :

---

(١) راجع ص ٢٦ من هذا الكتاب . والبروفسور واط نفسه يقول في كتاب له عن الأندلس: بأن دوافع الفتح أو الحروب الإسلامية كانت لمعالجة مشكلة الغذاء كي يقتل الرجال ويقل الطلب . وهذا نفسه ، في رأيه ، هو ما كانت عليه الجاهلية ، وإن الجهاد الإسلامي لا يختلف كثيراً عن حروب الجاهلية وإن كان قد طور ونسق بشكل جديد . راجع : للمؤلف ؛ أندلسيات (المجموعة الأولى) ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) اتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٣) وكانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة . ابن هشام « السيرة النبوية » ٢/٢٨٩ .

« إن محمداً يقتل أصحابه » ! لكنه قال للمسلمين : « بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا . »(1)

لماذا لم يقفوا لإلقاء الأضواء على هذه المواقف الرائعة للرسول الأمين وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ؟ فما هو السر الكامن وراء الاهتمام بابن سلول رأس المنافقين ؟ هل من نسب حقيقي متمثل في صلة الرحم أو صلة الفكر واتحاد الهدف ؟ الأمر لا يخلو من أحدها أو كلها .

● ● ●

ثم نذكر ما قيل عن يوم السقيفة ، حين اجتمع المسلمون يوم وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لانتخاب خليفة لهم . قالوا : إنه كانت هنالك مؤامرة ثلاثية اشترك في تدبيرها ثلاثة نفر(2) : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، لحصر الحكم فيهم الواحد بعد الآخر !! وإذا توهموا بأن لهم في ظاهر الأمر ما يؤيدهم فذلك وهم خداع . فجميع الحقائق التاريخية الناصعة والوقائع الأكيدة تلطمهم على وجوههم ، وتخرس ألسنتهم ، وتكشف تعصبهم ، وتفضح افتراءاتهم . ولو كانت هناك مثل هذه المؤامرة فكيف خفيت على جميع الناس المعاصرين لها ، فلم يذكر احد شيئاً من ذلك ؟ وكان بين المؤمنين وحولهم اليهود والمنافقون والمشركون وكلهم يتربصون

---

(1) ابن هشام « السيرة النبوية » ٢/٢٩٠ ــ ٢٩٣ .

(2) انظر ص ٣٤ من هذا الكتاب .

بالمسلمين الفرص . فكيف بهم يرون مثل هذا التآمر ولا يشيعونه ؟ ما سمعنا أحداً قط قال مثل هذا الكلام . فكيف كتمت هذه الأخبار عن أولئك القوم وعرفها هؤلاء بعد مرور القرون الطويلة ؟ يبدو أن عبقريتهم المتعفنة وعقليتهم النتنة استطاعت أن تطاول الزمان وتمزق حجب الكتمان لتخرج لنا هذه المكنونات الملفقة البشعة . نعم إنها عبقرية الدس ، وبطولة التعصب والعداء ، ومهارة الاتهام ، وشجاعة الاختلاق والاجتراء التي فاق بها هؤلاء أجدادهم من المنافقين والأعداء .

كيف يمكن أن يكون هؤلاء أصحاب مؤامرة وهم الذين ضحوا بكل شيء في سبيل الاسلام ، ومواقفهم قبل الهجرة وبعدها معروفة لشدة سطوعها وقوة نورها التي عشت فيها عيون هؤلاء الأعداء الحاقدين والأقزام الناقمين ، فما يدركون الحق ولا يبصرون النور ، لقد كان كل واحد منهم يريد أن يقلّد غيره الخلافة ويرفضها بحزم لنفسه(1) .

إن إخلاص هؤلاء جميعاً للاسلام معروف قبل الهجرة وبعدها . وكل منهم له أروع المواقف . أبو بكر وتضحياته في مكة ، وموقفه في حماية الرسول وحسن اتباعه له وثقته المطلقة به ، معروف كله حتى سمّيَ بـ « الصدّيق » . كذلك مرافقته للرسول ﷺ في الهجرة وافتداؤه له بنفسه ؛ فكان مرة يسير خلف الرسول الكريم ﷺ وأخرى أمامه . وحين سأله عن

---

(1) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ٢/٣٢٥ - ٣٢٧ .

ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : « يا رسول الله اذكرُ الطلَبَ فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرّصد فأمشي بين يديك . »(١) ومواقفه في المدينة ثم في الخلافة ووقفته يوم الردة كل ذلك معروف مشهود له به . ألم يقل حين طلب اليه ألاّ يحارب المرتدين : « إنه قد انقطع الوحي ، وتمّ الدين ، أوَ ينقصُ وانا حيّ ؟ »(٢) فلمَ كل هذا الإصرار الذي قد يعرّض كرسيه وحياته للخطر ويذهب هو ومؤامرته ؟

هذه صور من سيرة ابي بكر ؛ أما عمر بن الخطاب ، فإن له سيرة ناصعة البياض أيضاً ، فهو الآخر معروف بجهاده في سبيل الله وصلابته في الحق – وهذا دَيْدَنُ كل المسلمين ، خاصة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم – إن عمر بن الخطاب لم يتسامح حتى مع أهل بيته وأبنائه ونفسه . وذلك ما فعله غيره من الصحابة الكرام . الم يحاسب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابنته أشد الحساب ومنعها من استعارة عقد من بيت المال !!

فسيرة هؤلاء كلها بيضاء مشرقة وعطرة عبقة . فماذا يفعل الأعداء معها وأين يذهبون بها ؟

أليس عمر بن الخطاب هو الذي حرّمَ على نفسه ، بل وأقسم ألاّ يذوق (وهو خليفة ، في عام الرمادة – المجاعة – ، في السنة الثامنة عشر للهجرة) السمن واللحم واللبن ، حتى يذوقها كلُّ الناس ؟ ووصل إلى درجة ضعف معها جسمه

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣/١٨٠ .

(٢) علي الطنطاوي ، أبو بكر الصديق ، ص ١٦٣ .

وهــزل وتغــير شكله وشَحب وجهــه واسودّ لونــه « وكان أبيض . »(١) ـ . وشوهد في يــوم شديد مــن أيــام الصيف متعَمّماً بعباءة وهو يطلي بالقطران بعيراً من إبل الصدقة(٢) .

وأبو عبيدة بن الجراح ، « أمينُ هذه الأمة »(٣) ، المجاهد المضحّي . ألم يكن في أوقات المعــارك يسهر الليــل محافظاً على الجند ، يتجول حول خيامهم ويتفقد معسكرهم من غير تكليف من سلطة ؟ وفي السنة الثامنة عشرة للهجرة كان طــاعون عمَواس في الشام حيث كان أبو عبيدة ، فأرسل إليه الخليفة أن يأتيه حال تسلمه الكتاب ، لكن أبا عبيدة أجابه : ب « اني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلستُ أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه ، فخلّني مــن عزمتك يا أمــير المؤمنين ودعني في جندي . »(٤)

وهكــذا كان بقية الخلفاء الراشدين والصحابــة الكرام . أهؤلاء الثلاثة ـ وهم من خيــار الصحابة ـ يقومون بمثل

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٨٣/٣ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ٥٥٥/٢ .

(٢) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ٦٢ ؛ علي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر ص ٤٣٨ . كذلك : تاريخ الطبري ، ٢٠١/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ١٥/٦ (رقم ٣٩٣٠) .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧٨/٧ ؛ ابن الأثير الكامل ٥٥٩/٢ .

هذه المؤامرة ؟! هــذه المؤامرة التي خفيت على سائر الناس طيلة قرون ، حتى جاء « لامانس » فاكتشفها ؟!

إن المقصود هو الإسلام ورجالاته وحماته ، وسهام الاعداء إنما تُصوَّب في هذه الوجهة !!

إن كل ما قام بــه هؤلاء الصحابة الكرام ــ وغيرهم مــن المسلمين ــ كان في منتهى الخدمة المخلصة والتضحية البالغة التي ليس فيها لغير الله وابتغاء رضاه نصيب . فهــل هذا هــو مفهوم المؤامرة في نظر العميان ؟ نعم إنها مؤامرة مــن أعداء الإسلام لطعن الإسلام ورجاله ، إنها مؤامرة أنبتتها عقولهم المظلمة التي تمتلىء بالخبث والكيد الشديد .

أيشترك عمر في مؤامرة وهــو الذي تهدَّد بالقتل من يقول بموت الرسول ﷺ ؟ أليس في وفاته بداية لتنفيذ تلك المؤامرة ؟!

ثم لِمَ لم يكن لأبي عبيدة دَوْر في هذا الشأن ؟

إن الذي جرى يوم السقيفة بعــد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كان أمراً طبيعياً . فالمسلمون قد اجتمعوا وتناقشوا فيما بينهم فيمن يخلف رسول الله فيهم ، وكانت مناقشة أخوية حرة أبدى فيها كلٌ رأيه ، ثم كان الإجماع عامــاً بعد ذلك على انتخاب أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ في بيعتين : خاصة ، وعامة .

أليس من مفاخر المسلمين أن مثل هذا الأمر الخطير يتم في ساعة من نهار وباتفاق تام ، وفي أول تجربة للشورى بعد وفاة النبي ﷺ ؟

ماذا كان يريد أعداء الإسلام أن يحدث ليرضوا عنه ، ويكفّوا

السنتهم ، ويهشموا أقلامهم ؟ ربما كانوا يريدون أن يقوم بين الأطراف قتال ليضعف أمر الإسلام وتذهب دولته .

كان المؤتمرون ينتمون إلى قبائل مختلفة ولولا أخوة الإسلام لحدث شيء لا يعلمه إلا الله ، ولكن بفضل أخوة الإسلام كان القرار عاماً ، والبيعة شاملة قائمة على الرضا والصدق . وسارت قوى المسلمين جميعاً في خط واحد لخدمة دينهم ، فواجهوا كل الأحداث الجديدة أقوياء بأخوتهم ، ثم انطلقوا مجاهدين فدكوا حصون أكبر دولتين في الأرض يومها حتى أسقطوها ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

إنه لو كان هناك خلاف يستحق الذكر بين الصحابة في يوم السقيفة فليس في ذلك عيب ؛ إذ أن مجرد الاختلاف في الرأي أمر من طبيعة البشر . وإن إبداء الرأي بأدب واحترام يدل على محبة الصحابة لبعضهم وعلى تعلقهم بدينهم ، والاهتمام بمصلحته التي هي فوق كل شيء .

إن كل المجادلات والاختلافات انتهت في نفس اليوم أو في اليوم الثاني ، ولم يكد يحدث تطاول من البعض على البعض الآخر ، أو أن يشتم أحد أحداً(١) ، عدا مجادلات فردية محدودة .

أليس ذلك مَكْرُمَةً للإسلام والمسلمين يستحقون عليها التقدير ، لا أن تثار حولهم من أجلها الشبهات ؟

علماً بأن ذلك تمَّ في جو كانت فيه في داخل صفوف المسلمين

---

(١) راجع ابن الأثير ، الكامل ، ٢/٣٢٦ ــ ٣٣١ .

عناصر تنتهز الفرصة وتحاول جاهدة أن تثير كل شغب ، وفي الخارج كانت هناك جماعات يكاد خطرها يطرق باب المدينة أو ينقص أطرافها (١) أما إنه لولا الإسلام لهبت على الناس فتنة نشبت معها المعارك داخل المدينة بسبب العصبية التي عُرف بها العرب قبل الاسلام لكن الاسلام أذهبها ، ولكن رسول الله ﷺ ألفاها وألغى كل صور الجاهلية في خطبة حجة الوداع ووضعها تحت قدميه الشريفتين حين قال : « الا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع » (٢) .

وما كان أعظمه من اختيار ، حين اختار المسلمون أبا بكر ، لقد كان اختياراً ممتازاً موفقاً ظهرت للمسلمين آثاره الطيبة في خلافة الصديق حين قام بأعمال خلال سنتين ونصف يعجز عصبة من الرجال الأقوياء أن يقوموا بها في عشرات السنين .

أليس اليوم بعد أن تقدمت النظريات في السياسة والحكم وفي المجتمع نرى في مختلف انحاء الأرض وعلى اختلاف درجات التمدن انه تقوم المذابح والمؤامرات والانقلابات العسكرية لأبسط الأمور ؟ فلماذا إذن كل هذا الضجيج وذاك العجيج ؟ ولكن في الصدر حاجة، وفي النفس غرض ، وفي القلب مرض !!

---

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٣١٢/٦ ـ ٣١٣ .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ٧٧ .

التجزيء :

لقد جزاوا هذا التاريخ إلى مقاطع ، وفرقوا أوصاله إلى أشلاء تجابه بها عقول المسلمين . وربما كان بعض هذه الأشلاء لاتزال تقطر منها دماء تقطيعهم لهذا الكائن ، أعني به : التاريخ الاسلامي . فنتج عن ذلك أن أماتوه حين قطعوه ولم يشيروا إلا إلى أوصال قليلة بدا فيها مشوهاً حتى بعد موته .

فلم يدرس التاريخ الاسلامي ككائن حي مكتمل سليم ، بل درس على أنه أوصال وأجزاء وتفاريق لكائن مشوه . فترانا في كثير من الأحيان لاندرسه على أنه حلقة متصلة وسلسلة متتالية متناسقة الأحداث والاجزاء ، متتابعة المجرى في البداية والهدف ، تنتظمها في كل ذلك صبغة واحدة اتسقت نهايتها مع البدايات وتوافقت في مخبرها مع المظهر . ولذلك ترانا في العهد المدني للدعوة الاسلامية لانعرف غير المعارك ، وبالطريقة التي أُريدت . ثم إننا ننتقل بعد الهجرة ــ من غير أن نتحدث إلا القليل عنها ودوافعها ونتائجها والمجتمع الجديد الذي أنتجته ــ ننتقل من الهجرة إلى معركة بدر التي كانت في السنة الثانية للهجرة وبعد ماقد يزيد على ثمانية عشر شهراً منها . وفي الحديث عن معركة بدر قد نشير إلى اتهامات معينة أو التهوين من أمور خاصة .

ثم ننتقل إلى معركة أحد فالخندق ثم إلى عدد من الغزوات بعدها ، ثم إلى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام . حتى ليصور للدارس أحياناً بأن تاريخ الاسلام في المدينة المنورة ــ الذي يمثل ذروة انتصاره وانطلاقه إلى الوجود الواقعي ــ ليس هو إلا تاريخ

معارك وحروب ، وحتى هذه المعارك فهي تدرس بدوافع معينة صورتها لهم أفهامهم المنحرفة ، حتى إننا لو حذفنا هذه المعارك لما بقي في الكتاب إلا قليل من صفحاته المكتوبة .

ثم ماذا نعرف بعد ذلك ؟ لانعرف إلا قليلاً عن نشاطات المسلمين الاخرى في المدينة بعد أن أقاموا المجتمع الجديد ، الذي لم يكن جديداً في وجوده فقط ،لكنه كان جديداً في عقائده وأفكاره ، في مفاهيمه وتعاليمه ، في موازينه وآفاقه ، في روحه ومشاعره ، في كيانه وبنائه ، في طبيعته وأهدافه .

الإهمال :

كان من خطط أعداء الاسلام أن يهملوا ذكر كل ما هو مدعاة للفخر في تاريخنا ، وأن يضخموا أموراً اعتيادية ، ويختلقوا أموراً لاوجود لها لتشويه هذا التاريخ . إنهم قد يختلقون العداء مثلا بين عمر وعلي رضي الله عنهما ، ولكنهم يهملون أموراً أخرى حقيقية قد تفسد عليهم ما اختلقوه ؛ هذه الأمور التي تعبّر عن العلاقات الودّية الحسنة بين هؤلاء الرجال المؤمنين جميعاً والمحبة العميقة والاخلاص المتناهي . ولكن يبدو أن هذه العداوات المفتعلة بين الصحابة قائمة في أذهان هؤلاء ، وما كانت البتة قائمة في الواقع .

إن ذلك الاهمال يظهر جلياً وعن قصد وتخطيط في عدد من مؤلفاتهم . فمثلاً كتاب الدكتور فيليب حِتّي « تاريخ العرب (١) »

---

(١) ألّف هذا الكتاب (بالعربية) بالاشتراك مع ادوار جرجي وجبرائيل جبور (بيروت ، ١٩٦٥) ، وإن كان حِتي هو المؤلف الحقيقي للكتاب .

والمكون من جزأين كبيرين ؛ نجدأن صاحب هذا الكتاب قد أخطأ حتى في عنوانه ، إذ انه لم يكن تاريخاً للعرب وحدهم وإنما كان تاريخاً للاسلام ودعوته وشعوبه وانتاجه الحضاري ودوله . فكان يجب أن يكون عنوانه مثلاً : تاريخ الاسلام (أو المسلمين) ، كما فعل عدد من المؤرخين ، حتى الأوروبيين . إن كتاب (حِتي) لم يكن تاريخاً للعرب وحدهم ، حتى لو نظرنا إلى الأجناس التي تحدث عنها بصرف النظر عن ارتباطها بهذا الدين الذي جمعها على عقيدته ، وانطلقت تعمل بروحه وبهديه . إنه يتحدث عن العرب كما يتحدث عن الفرس والسلاجقة والمماليك والأتراك والمغول والبربر وعدد من أجناس آسيا ومن أسلم من شعوب أوروبا وغيرهم . ثم بعد كل ذلك يسمي كتابه « تاريخ العرب » !

يقع الجزء الاول من هذا الكتاب في ٤٠٨ صحيفةً . يتكلم فيه عن تاريخ الجزيرة العربية في الجاهلية قبل الاسلام في سبعة فصول، تقع في ١٥٢ صفحة . بينما يتحدث في تسعة فصول عن الاسلام ودعوته حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، ومع كل التغيرات التي أنتجتها هذه الدعوة والمجتمع الجديد الذي بناه الاسلام والفتوحات وانتشار الاسلام وكذلك اللغة العربية وتأثيرها ، كل ذلك يقع في ٩٣ صفحة فقط . وفي الفصل الثامن يتحدث عن حياة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ودعوته وكل ما يتعلق به منذ ولادته حتى وفاته في أربع عشرة صفحة . وفي الفصل التاسع يتحدث عن القرآن الكريم وتعاليمه وتأثيره في سبع صفحات . بينما في الفصل السابع يتحدث عن « الحجاز قبيل الاسلام » في ست وثلاثين صفحة ، منها عشر

صفحات عن « وثنيــة البــدو » ، فتكون مساحة حديثــه عن « الحجاز قبل الاسلام » أكثر مـــن ضعف حديثــه عـــن حيـــاة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام . وحديثه عن « وثنية البدو » فقط أكثر من حديثه عن القرآن الكريم ؛ فما تفسير هذا ؟!

إنه حتى لو كان موضوع هـــذا الكتاب عـــن العرب وحدهم أما كان يعتبر ظهور الاســـلام من وجهة النظر العربية أكبر حدث شهدته جزيرة العرب والعالم بأسره حتى الآن ، أما كان هذا الموضوع ــ ظهور الاسلام وأثره ــ يتطلب أن يشغل مساحة أكبر مما يشغله حديثه عن الجاهلية قبيـــل الاسلام ؟ وحتى لو اعتبرنا أن جميـــع المسلمين قد تعربوا ؛ أليس من الضروري كذلك أن يسمى تاريخهم بعد ظهور الاسلام (تاريخ الاسلام) بدلاً من تاريخ العرب ، ما دام هذا الدين لم يقبله كل الناس ، ولم يضع هو في ميزانه حساباً لرابطة قومية . وهل قبله العرب جميعاً ؟ وهل قبلوه لأنهم عرب فقط ؟ ألم يكن أشـــد أعدائه هم من العرب ؟ فهـــل نسي (حتي) الأساس العقائدي والروحي والفكري للاسلام ؟ وأنه دين الله إلى البشريـــة كافة ، دون اعتبار لأي معنى آخر ؟ أو لعله يعتبره مجرد حدث قام به فرد من العرب يحمل فلسفة أرضية معينة ؟ (١) .

فهل يمكن بعد هذا كلـــه الأخذ بكل ما جاء في الكتاب دون مناقشة أو حذر ؟ أو أن يصبح هذا الكتاب من مصادرنا الأساسية التي كانت ــ وربما لاتزال ــ مقررة في بعض جامعاتنا ؟

---

(١) يلاحظ كتابه (تاريخ العرب) المطول والموجز (المقدمات وغيرهـــا) .

إن الدكتور فيليب « حتي » وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجيــة الأميركية في شــؤون الشرق الأوسط (١) ، وإن تظــاهر « بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا »(٢) ، إلا أنه على ما يتضح يعتبر الاسلام رجعية ويحاول الانتقاص منه .

والحقيقة أن كثيراً من المستشرقين ينظرون إلى الاسلام بمثل هذه النظرة ، بعضهم أيضاً يعتبرونه العقيدة الوحيدة التي تخيفهم وتواجههم كسد منيع أمام ما يريدون . وهم في كل جهودهم يحاولون تفتيتــه أو تمييعه . ويعبر عن هــذا المعنى المستشرق الفرنسي ماسنيون (٣) في أكثر من موقف يروى عنه، ولقد كان هذا المستشرق يعمل مع الجيش الفرنسي في لبنان في المكتب الثاني برتبة نقيب . ومن مآثره ما يروى أنه هو الذي أشرف على الاستفتاء في لبنان (بعد الحرب العالمية الاولى ، أيام الاحتلال الفرنسي) فزور هذا الاستفتاء، حيث كان يوزع الليرات الذهبية لشراء التأييد لما يريد . وما علمنا أنه تغير ، بل إن مواقفه من الاسلام والمسلمين بقيت تنمّ عن الحقد والكراهية .

فكيف يمكن أن يوثق بهذا الرجل وبكتاباته ، أو يوضع هو وأمثاله في عداد الثقات أصحاب التصانيف العلمية ؟

● ● ●

(١و٢) مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم ومــا عليهم ، ص ٥٣ .

(٣) المتوفى سنة ١٩٦٢ .

إن أسلافنا الصالحين الذين دونوا تراثنا التاريخي وغيره ، مهما ذكر عنهم من مآخذ ، قد تكون غير صحيحة أصلاً هم عامة أصحاب دقة وأسلوب موضوعي وأمانة علمية . وإن ذلك كان جزءاً من عقيدتهم التي آمنوا بها وعاشوا لها وفي ضوئها. ولقد أعطونا جميع المواد الخام الموثوق بها ، حتى الروايات الأخرى الضعيفة قد دونوها لنا . وتركوا لنا واجب دراسة هذه الروايات وتنقيتها وكتابة تاريخنا على ضوء ما صح منها ؛ بالطريقة وبالأسلوب الذي نريد . لقد بذل سلفنا الصالح غاية الجهد في جمع التراث ، والمحافظة عليه وعلينا أن نرد كافة المحاولات التي بذلت للتشويه وطمس معالم الحقيقة بطغيان الباطل عليها (١) .

والواقع أن الشواهد في هذا المجال كثيرة وكلها تدل على مقدار التدقيق عند العلماء المسلمين في الرواية ، والتحري الشديد وإلى أبعد الحدود للوصول إلى الصواب ، والبحث عن الحقيقة ، وسد كافة النوافذ مهما صغرت والتي يمكن أن يدلف منها الباطل .

إنه لما يؤسف له أننا جعلنا من ماسنيون وأمثاله ، بعد كل الذي رأيناه ــ وما لم نره أكبر ــ أعضاءفي مجامعنا العلمية واللغوية، ودعوناهم إلى جامعاتنا ومعاهدنا لإلقاء المحاضرات ، والبلية أنه وجد في بلادنا وربما من خريجي المعاهد الدينية ومن أصحاب

---

(١) راجع : مقدمة ابن خلدون ، ٣٥٠/١ ــ ٥ ، ٣٦٢ ــ ٣ ، ٣٩٨ ــ ٤٠١ ، ٤٠٩ ــ ٤١١ . حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ص ٣٥ وبعدها ، أسد رستم ، مصطلح التاريخ ، ص ١٠٠ .

الدراسات الاسلامية الذين يعتبرون من قادة الفكر عندنا من كان خير قيم على كتابات هـؤلاء المستشرقين ، نقلوهـا لنا (بأمانـة) وألبسوها أثواباً مزورة . ومن هؤلاء الدكتور طه حسين ثم الدكتور أحمد أمين وغيرهما (١) ، وكان عليهم أن يكونوا رواداً للفكر الاسلامي الناصع الرائع .

● ● ●

ثم إن هذا الهجوم على رجال الاسلام وقادته وكياناته اتجه بثقله إلى قادة الفكر المسلمين والعلماء المنتجين ؛ ولا سيما المؤرخين ، فقد قلل الأعداء من شأنهم ، ووجهوا النقد لهم ، ووصموا ما كتبوه بمختلف الأوصاف ، منها عدم الدقة ، والبعد عن أسلوب البحث العلمي . فكان أن أورثنا ما كتبه الأعداء الشك في انتاج مؤرخينا ، وضعف الثقة به ، ووضعه موضع التهمة .

ولكن على الرغم من قلة الإمكانيات العلمية في ذلك الوقت ، كعدم سهولة توفير المصادر ، وصعوبة الحصول عليها وصعوبة التنقل والاتصال بأهلها ـ على الرغم من كل ذلك ـ وجدنا المكتبة الاسلامية ـ وجناح التاريخ منها خاصة ـ غنية ثرية كماً وكيفاً ، وستبقى شامخة رغم كل ما يقال عنها ، فقد امتلأ العالم الاسلامي

---

(١) راجع : محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٢١٩/٢ وبعدها ، وله : حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١٦١ ، مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، ص ٢١٤ ، أبو الحسن الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، ص ١٢٣ .

بالكتب والمكتبات . وإن الذي كتب باللغة العربية في مختلف العلوم والفنون فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري/التاسع والثاني عشر للميلاد فاق كل ما كتب بأي لسان آخر (١) .

إن الأمانة الكاملة في النقل والإسناد ، والدقة التامة في العرض، كانت متمثلة في قادة الفكر عندنا ، الذين كانوا أساتذة العلماء الأوروبيين في تلقينهم أسلوب البحث العلمي السليم ، وإلى الأساتذة والعلماء المسلمين يعود ذلك الفضل (٢) .

وهذا لايمنع أن تكون لهم طريقتهم الخاصة وأسلوبهم المعين الذي يختلف عن غيره ، وأن يوجد في بعض كتاباتهم ـ أو عند بعضهم ـ الغث والسمين ، فنحن حتى اليوم وفي كل فترة تخرج علينا نظريات وطرق جديدة في التاريخ ، بعضها صواب وبعضها خطأ ، وكم من قائل : الطريقة الفلانية ، أو النظرة العلانية ، ومنهج كذا ، مدعياً أن لديه ما هو جديد في هذا الباب ، ولكني أقول من غير تحفظ بأن علماءنا بذلوا أكبر الجهد العلمي، وكانوا أكثر حرصاً وأمانة في بحوثهم العلمية وفي دقة عرضهم ، وأمانة نقلهم من كثير من العلماء المحدثين ، الذين رأينا من أئمتهم قادة التعصب الذميم ، الذي أدى بهم إلى الاختلاق والتحامل وتجنب الحقيقة وإغماض العيون عنها ، ولا يشفع لهم في ذلك مهما ألبسوا أسلوبهم من ثياب العلم المرقعة وبذل الأكاديمية المهلهلة .

● ● ●

---

(١) راجع للمؤلف : أندلسيات (المجموعة الأولى) ، ص١٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٢ .

مفتريات شاملة

بالاضافة إلى الوسائل التي سلكها أعداء الاسلام للنيل من التاريخ الاسلامي والتي سبق لنا توضيحها فهنالك مفتريات كبيرة افتراها الأعداء على هذا التاريخ يأتي في مقدمتها الافتراءات التالية :

١ ــ تفسير دوافع المد الاسلامي وتعليلها وحصرها في ابتغاء المغانم .

٢ ــ تفسير هذا التاريخ تفسيراً مادياً .

٣ ــ اتهام الاسلام بأنه انتشر بالسيف .

٤ ــ التفسير القومي للتاريخ الاسلامي .

وفي هذه المفتريات : (الغنيمة ، والتفسير المادي ، والسيف، والتفسير القومي) محاولة لاقتلاع مفاهيم التاريخ الاسلامي ، بل فيها أيضاً محاولة لاقتلاع مفاهيم الاسلام وعقيدته .

دافع الغنيمة :

ففي هذا التفسير المفترى إشارة خفية أو جلية إلى سلخ الاسلام من طابع الهداية ونشر النور الإلهي ، وكذلك سلخ المسلمين المجاهدين من الأهداف النبيلة التي قدموا لها أرواحهم وأموالهم ، وكانوا يتسابقون إلى الموت من أجلها ، بل وأيضاً يهدف إلى قطع الدعوة الاسلامية عن السماء واعتبارها ثورة أرضية .

والحقيقة انه ليس هنالك حادثة واحدة على الاطلاق ، تتصل بالاسلام أو نابعة منه ، تذهب بالدارس المنصف هذا المذهب المادي وتؤيد مسألة الغنيمة في هذا التاريخ المشرق .

في أي فصول التاريخ الاسلامي تتمثل الغنيمة ؟

هل تتمثل في المسلمين الأوائل الذين قدموا أموالهم ، بل أرواحهم في سبيل الله ورسوله ؟

أم تتمثل في الأنصار الذين بايعوا بيعة العقبة الكبرى في السنة الثالثة عشرة للبعثة على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف ، ولهم بذلك الجنة ؟ (١) .

أم تتمثل في المهاجرين الذين تركوا كل ما يملكون في مكة لقريش ، ولم يستغلوا كرم الأنصار وتضحيتهم لهم ؛ شعوراً بالأخوة التي أنبتها الاسلام في نفوسهم ؟ فكانت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، حيث قدم الأنصار نصف ما يملكون لإخوانهم وكان فرحهم بما يأخذه المهاجرون أكثر منه بما يتركون بل كان فرحهم بما يأخذون وحزنهم لما يتركون .

ثم هل تتمثل في وصف الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام للأنصار مخاطباً : « إنكم لتكثرون عند الفزع [الخطر] ، وتقلون عند الطمع [الغنيمة] . » (٢) .

وهل تتمثل في البطولات التي أبداها المسلمون في فتوحاتهم

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤٤٦/١ .

(٢) المبرد ، الكامل ، ٣/١ .

باحثين عن الموت في سبيل الله استجابةً لما رباهم عليه الاسلام ؟
وما اجمل قول (عُمير بن الحمام) في معركة بدر(١) :

رَكْضاً إلى الله بغير زادِ
إلاّ التُقَى وعمل المَعادِ
والصبرفي الله على الجهادِ
وكلُّ زادٍ عرضة النفادِ
غَيرالتقىوالبرِّوالرشادِ

وكم من المسلمين والمسلمات من أصيب بجروح غائرة وطعنات مميتة ، ومع ذلك بقي مستمراً يحارب العدو ، وكم منهم من قطعت يده في الحرب ولا يوقفه ذلك عن متابعة جهاده (٢) .

يذكر المؤرخون ان معاذ بن عمرو بن الجموح كان في معركة بدر قد قطعت يده بعد أن ضرب ابا جهل ؛ يقول معاذ : « ... وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي ، فتعلقت بجلدة من جثتي ، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت حتى طرحتها . » (٣) .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٢٧/١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٧٧/٣ .

(٢) انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٥/٢ ، ١٥٦ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٨٢/٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٦/٢ ــ ١٢٧ ، كذلك : تاريخ الطبري ٤٥٤/٢ ــ ٤٥٥ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٣٤/٢ .

إن الذي يسعى وراء الغنيمة لايمكنه مطلقا ـ وهو أسيرها ـ أن يبني مجتمع العقيدة ـ العقيدة الاسلامية ـ وهؤلاء المفترون على تاريخ الاسلام لايفهمون هذا المستوى الرفيع المشرق لأنهم لا يستطيعون الارتقاء إليه ، فهم فقراء في المثل وذلك هو شر انواع الفقر ، والذي يصاب به « لايستطيع إطلاقاً أن يرتفع إلى ذلك الأفق السامق البعيد . فضلاً عن الجهل الفاضح بأوليات الشريعة الاسلامية . » (١) .

وحتى لو اعتبرنا كلامهم بريئاً من التعصب والعداء والفرض، وكان صادراً فقط عن ضيق أفقهم في المثل ولصوقهم بالطين ، فان ذلك وحده يجعلهم في عجز عن إدراك هذا المستوى الرفيع ، ويقعد بهم عن أن يفهموا هذه الروح العالية من التضحية والفداء . أما المغرضون منهم فانهم يعرفون حقيقة هذا المستوى ولا يريدون الاعتراف به بل هم يقصدونه ؛ فماذا يقولون فيما يرويه ابن اسحاق عن امرأة من الأنصار وموقفها بعد معركة أحد . يقول : « مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد (أي استشهدوا) ، فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبةٍ بعدك جلل ! تريد صغيرة . »(٢) .

---

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ١٧٤ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢/٩٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/٤٧ .

اين من هذا مكان الغنيمة ، يا أيهـا المتعصبون الأغبياء ، والأعداء البلهاء (١) .

إذا كانت هذه الاحداث المتمثلة في الأفراد والجماعات وخلال المراحل المختلفة لاتعطي لهم دليـلاً على صدق الفكرة والارتباط بالعقيـدة ؛ فبماذا نقنعهم حتى يقلعوا عـن ترهاتهم ، وينصفوا أنفسهم وعقولهم ؟ أم أنهم لايريدون الاطـلاع على هـذه الأمـور ، ويتعامون عنها عن قصد ؟ .

وهكذا باستعراضنا أي حدث أو تصرف في حياة المسلمين ــ في السلم والحرب ــ نجد فيه كل تلك المعاني وغيرها سمواً ونقاء ، ونزيد القارىء فنعرض عليه بعض احداث معركة مؤتة التي وقعت في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .

كيف رضي المسلمون ، وهم ثلاثة آلاف ، منازلة مائة الف (أو مائتين) من الروم والعرب المتنصرة الذين فاقوا المسلمين عدة وعدداً ، وقد علم المسلمون بها مقدماً ؟

إن النفع المادي مهما كان عالياً لايمكن أن يساوي حياة الانسان ، واي نفع مادي والموت محقق !؟ وهل يمكن أن يقف احد هذا الموقف ويثبت في الميدان طمعاً في مغنم ؟ إن جميع من حضر المعركة من المسلمين كانوا يتسابقون للموت في سبيل الله . لقد خطبهم عبد الله ابن رواحة قبل المعركة قائلاً :

---

(١) انظر : الندوي ، مـاذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٩٤ ــ ٩٨ ، فهناك أمثلـة عديدة لهذا النـوع الرفيع من هـذه القصص .

« . . . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . فانطلقوا فانما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة »(١) .

وكان المسلمون قبل الحرب وعندما فصلوا من المدينة يتوقون للشهادة ، ولقد سمى لهم الرسول الكريم ﷺ أكثر من قائد ليتولى اللاحق قيادة المعركة بعد استشهاد السابق . فهل تحس مع ذلك أية روائح لدوافع مادية ؟ أم أن الغاية كانت عندهم إحدى الحسنيين ؟

أي ربح مادي جناه جعفر بن أبي طالب قائد جيش المسلمين حين اشتدت المعركة فرمى بنفسه عن فرسه ليقاتل وجعل ينشد :

يا حبّذا الجنة واقترابها — طيبة وبارداً شرابُها

والرومُ رومٌ قد دنا عذابها — كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عليّ إذ لاقيتها ضرابها

واستمر يقاتل حتى قطعت يداه ، ولما قتل وجد في جسمه ما يزيد على سبعين ضربة (٢) .

وبعد قتل القادة الثلاثة تباعاً يأخذ الراية خالد بن الوليد ويرتب انسحاب الجيش ببراعة ، ويعود به إلى المدينة المنورة ،

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٧٥/٢ . راجع كذلك : تاريخ الطبري ، ٣٧/٣ ، الكامل ٢٣٥/٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٩/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٥/٤ ، ابن حجر ، الإصابة ، ٢٤٨/١ ، الزركلي ، الأعلام ، ١١٨/٢ .

ولكن رغم كل هذه البطولة وهذه التضحية التي ظهرت منهم ، فما أن يصل الجيش الاسلامي إلى المدينة حتى يتلقاه بعض المسلمين غاضبين وهم يحثون على الجيش التراب ، ويقولون : يافرار »!!؟(١)

لماذا ياترى هذا الموقف من أهل المدينة ؟ ألأن الجيش لم يجلب لهم ما يروي نهمهم من الغنيمة؟ أم أن الباطل لايستطيع أن يتصور الأمور الرفيعة ، ولا أن يسمو إلى المدارك العالية ؟.

لقد كانت جميع تصرفات القادة والخلفاء في كل أعمالهم ، حربية كانت أو غير حربية،تهدف إلى إعلاء كلمة الله والعمل لمرضاته؛ فهم يدركون جيداً تعاليم الاسلام ، ويفهمون نظرياً وعملياً قول الرسول الأمين ﷺ من أن هدف المسلم الأعلى في هذه الأحداث : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٢) .

التفسير المادي :

ثم يأتي بعد ذلك موضوع التفسير المادي للتاريخ ، ذلك التفسير المتهافت الجاهل الذي نبع من فلسفة مادية ضيقة . لكن الشواهد من حياة الأفراد والجماعات خلال التاريخ ، ترد مثل هذا التفسير الضيق وأمثاله،وتعرّيه من حجته كما عرّت الدراسات

---

(١) السيرة النبوية ، ٣٨٢/٢ . أين هذا مما يحدث في دنيانا ؟ فكم من هزيمة حقيقية قلبت إلى نصر مزور بخطة ابليسية ، فصدقها الرعاع ؟

(٢) سنن النسائي ، ٢٣/٦ ، ابن حجر ، فتح الباري ، ٣٦٨/٦ .

النفسية مزاعم « فرويد » حين رد تصرفات الانسان إلى الدوافع الجنسية واللذائذ الشهوانية(١) .

إن للانسان مشاعره وأحاسيسه وحاجاته المتعددة ، منها المادي ومنها الروحي . وكل تفسير يحصر هذا الانسان ودوافعه في إطار واحد ، أو لا يدرك كل مقوّمات النفس البشرية روحية وفكرية وحيوية ، ومقومات الحياة البشرية معنوية ومادية يكون تفسيراً خاطئاً(٢) .

ومن هنا كان الرسول ﷺ يكرر التوجيه بأن نعطي كل ذي حقّ حقّه ، فلا ننكر وجود هذه الجوانب الجزئية للانسان ، ولكن على ألاّ يطغَى جانب منها على الجوانب الأخرى ، فإن من يقف عند واحد منها يكون قد أدرك شيئاً وغابت عنه أشياء .

إن فهم الانسان من خلال المادة فقط هو في الحقيقة مسخ وإنكار لانسانيته وعدوان كبير على هذه الانسانية . ولقد وصف الله تعالى الكفار بقوله الكريم : « وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ »(٣) .

ولكن أصحاب التفسير المادي للتاريخ لا يرون إلا من خلال نظرتهم المادية للانسان ، ولا يفسرون تصرفاته إلا من خلال مبادئهم ،

---

(١) راجع : محمد قطب ، الإنسان بين المادية والاسلام ص ٣٢ ـ ٤٠ ، ٢١٣ ـ ٢١٦ .

(٢) انظر : سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ٣٧ وبعدها .

(٣) الآية ١٢ من سورة محمد .

ولذلك نراهم فرضوا مبادئهم بالقوة على الشعوب ، وألغوا جوانب الانسان واعتباراته الأخرى النفسية والروحيـة والعقلية ، لأن إلغاءها في صالحهم وذلك ليدوم لهم تسلطهم على الانسانية المعزز بقوة الدبابة وإرهاب السلاح ، ولو خلوّا بين الناس وبين هـذه المبادىء لدفنت مع أصحابها .

أما الاسلام فلا يعوزه أن ينتشر سوى أن يخلّى بينه وبـين الناس . ومن هنا كان قتال الملوك والأمراء في الفتوحات الاسلامية . لقد كان لإزاحة العوائق التي تمنع الناس من استعمال عقولهم وتحول بينهم وبين ما يختارون لأنفسهم .

إن المبادىء المتعفنة ـ شرقية أو غربية ـ لا تنتج إلا ما يماثلها من الأمور القذرة ، أما العقيدةُ السمحة فلا تنتج إلا المبادىء الشريفة والمثلَ الرفيعة ، والسلوك النظيف .

ونود هنا أن نوجه لأصحاب التفسير المادي هـذا السؤال وهو : أيّ تَغير اقتصادي وأي نهضة أوثورة صناعية أو غير صناعية قامت في الجزيرة العربية وفي مكة بالذات فأدت إلى ظهور الاسلام ؟ وهل كان الاسلام وامتداده استجابة لتلك الضرورة الاقتصادية ونتيجة لما جد من مهيآتها ؟(١) .

فيوم ارتفع صوتُ الرسول الكريم عليـه الصلاة والسلام حاملاً بيده مشعل النور ، منادياً بالناس أن يتبعوه ويسيروا على هَدْيه ، كانت البشرية بكليتها وبكافة ظروفها وإمكانياتها ضده ،

---

(١) انظر : محمد قطب ، الانسان بين المـادية والاسلام ، ص ٧٣ ـ ٧٩ .

لكنه صبر صبراً جميلاً حتى شق الطريق لدعوته وسط جيل قست عقولهم حتى صارت كالحجارة أو أشد قسوة « وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ »(١) .

كانت الصعوبات التي لاقاها الاسلامُ في الدعوة كبيرة جداً ، وفي مقدمتها مقاومة المشركين العنيدة ، ومع ذلك فقد بقي المسلمون خلالَ فترة طويلة صابرين على ذلك، معتزين بأصالة الدعوة ووضوحها وإشراقها ، وقيامها على الجدية والصدق والأمانة والشرف ، مستلهمين من طاقة التحمل الكبيرة عند الداعية الأول ﷺ . وإن دعوة الاسلام بقوتها العقيدية وسموها انتشرت بعد ذلك بسرعة واستمرت ، وستبقى ـ بعون الله ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فهل كان ذلك بدافع مادي أو نفع اقتصادي ؟ أم العكس ؟ لقد كان المسلمون يحافظون على إسلامهم ويلتزمون به طوعاً . وكان فرحهم بمقدار استجابتهم لأوامر الله، وكانت سعادتهم بطاعتهم لله ، واطمئنان قلوبهم بذكره والتعبد له . كانوا يبذلون ـ ونفوسهم مستبشرة ـ كل ما يملكون دون انتظار لنفع مادي . ويوم كانت الدعوة الاسلامية مطاردة وأتباعها قليلين لم يكن هناك أي إغراءات أو منافع مادية أو غيرها . وأين هذا مما نرى في الاتجاهات المعاصرة التي تفتقر إلى المقومات الانسانية الكريمة الشريفة والأسس الحيوية الطاهرة النظيفة . فهي تنتشر وتسود بالاغراء وبالقوة . وهي ـ بعضها ، أو كلها في النهاية ـ ذات تفسيرات اقتصادية . ورغم أن

---

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

السلطة بيدها فإنها تعاني دائماً قلة في الأتباع ولا يجتمع حولها الناس إلا بدافع المنافع ، ولا تحافظ على كيانها إلا بالسلاح والنار .

ولذلك يمكننا أن نقول وبدون أدنى تحفظ بأن الاسلام لم تكن له اي عوامل اقتصادية أدت إلى ظهوره أو انتشاره . والحقيقة أن ارتباط ظهور الاسلام بالتفسير المادي يلغي عنه صفته الإلهية وطبيعته الربانية ، وفي هذا قضاء عليه .

لم تكن للفتوحات الاسلامية أية دوافع اقتصادية ، وإن كنا لا ننكر تأثير الجوانب الاقتصادية على البشر أفراداً وجماعات . ولكن ما أكثر التصرفات الفردية والجماعية في حياتنا العادية التي تكون خالية من دوافع اقتصادية . فإذا كان للجانب الاقتصادي أثر على حياة الانسان ؛ فلا يعني هذا أن كل تصرفاته محكومة به ، وصادرة عنه .

أي تفسيرات مادية وراء تصرف ذلك الرجل الذي اشترك في حرب المسلمين ضد الفرس في معركة المدائن ، وجاء بعد المعركة « بِحُقٍّ مليء بقطع الذهب ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال الذين هناك : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأناً ، فقالوا من أنت ؟ فقال لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرّظوني ، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه . فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس . »(1)

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤/١٩ .

وما هو التفسير المادي أو الدافع الاقتصادي وراء الصورة الرائعة في فتح المدائن أيضاً ؟ حيث عبر المسلمون إليها نهر دجلة في وقت فيضانه ، الأمر الــذي يستصعبه ويخافه السباحــون الماهرون ، ولا يخلو بالنسبة لهم من مغامرة قد تكون خاسرة . فكيف بهذه الصورة الرائعة التي ترسمها قوة الإيمان عند المسلمين ، ولم يكونوا قد مارسوا أفانين السباحة ، وما كانت لهم بها دربة ؟ لقد كان ذلك بإيمانهم بالاسلام وحده ، مبتغين بذلك رضاء الله .

أروي هذه القصة (بتصرف) من كتب : البداية والنهاية لابن كثير ، والكامــل في التاريخ لابــن الاثير ، وتاريــخ الرسل والملوك لابن جَرير الطَّبَري(١) .

لمّا أراد المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقّاص ، عُبور دِجلة إلى المدائن ، تعذّر عليهم حصولهم على سفن . وكانت دجلــة قد زادت زيادة عظيمة واسودّ ماؤها ، ورَمت بالزبد مِن كثرة الماء بها . فندب سعد المسلمين وعزَم على عبور النهر على ظهور الجياد ! فأجابوه جميعاً : عَزَمَ الله لنا ولك على الرّشْدِ فافعل . فانتدب ستمائة فارس وأمّر عليهم عاصم بن عمرو ، فوقفوا على حافة النهر . ثم كانت الطليعة الأولى ستين فارساً . وابتدأ العبور بتلاوة قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا »(٢) . ثم لحق بقية الستمائة ، وتبعهم سعد بباقي الجند

---

(١) ابن كثير ، ٦٤/٧ ــ ٦٥ ؛ ابن الأثير ، ٥١١/٢ ــ ٥١٣ ؛ الطبري ، ٨/٤ .

(٢) الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .

وطلب منهم أن يقولوا عند دخول الماء : « نستعينُ بالله ونتوكل عليه . حسبُنا الله ونعم الوكيل ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . » ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناسُ لم يتخلّف منهم أحدٌ . فساروا في النهر كأنما يسيرون على وجه الأرض ، حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يُرى وجهُ الماء من الفرسان والرَّجّالة. وكان المسلمون يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده . وعبروا النهر دون أن يفقدوا أحداً أو متاعاً ، غير قدح من خشب !(١)

وكان سعد حين العبور يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرَنَّ الله وليَّه ، وليظهرنَّ الله دينه ، وليهزمنَّ اللهُ عدوَّه ، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوب تغلب الحسنات . »(٢)

وكان الفرس يقفون في الجانب الآخر من النهر ، فلما رأى الفرس المسلمين يطفون على وجه الماء قالوا (متعجبين) : دِيوانا ديوانا ، أي : مجانين مجانين .

ثم قال الفرس : والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جِناً .

إن حياة المسلمين كلها أمثلة من هذا النوع الرفيع السامي الفريد ، وكان كل همهم نصرة هذا الدين .

---

(١) ابن كثير ، ٧/٦٥ .

(٢) الطبري ، ٤/١٢ .

وكان الجنود كقادتهم متمثلين بالاسلام ، يتسابقون هم وقادتهم في الحرب الى الشهادة ، لا يهمهم شيء من عرض الدنيا ولا يحرصون أن يدعوا ميراثاً يورّثونه . فهذا خالد بن الوليد القائد الكبير الذي قاد المعارك الكثيرة لم يكن يملك حين وفاته « إلا فرسه وغلامه وسلاحه »(١) . وكان قبل وفاته قد « أوصى أن يجعل سلاحه وفرسه عدةً في سبيل الله »(٢) .

لقد كان المسلمون بشراً من نوع جديد لم يألفه الناس . وانظر حين سأل هرقل ملك الروم رجلاً من قومه كان قد أسره المسلمون، فأفلت ، سأله هرقل عن المسلمين قائلاً : « أخبرني عن هؤلاء القوم فقال : أُحدثك كأنك تنظر إليهم : هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه . فقال (هرقل) : لئن صدقتني ليرثون ما تحت قدمي هاتين »(٣) .

لقد كان المسلمون في جميع معاركهم أقل عدداً وعدة ، ولكن النصر كان دائماً حليفهم، كانوا يستهينون بكل القوى المادية المقابلة، وكان أحدهم يطلب الموت ويعتبر ذلك أعظم الربح . فكانوا كما وصفوا : بالنهار فرساناً وبالليل رهباناً . يترجمون بأعمالهم قول رسول الله ﷺ : « ... رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله » .

---

(١) ابن كثير ، ١١٧/٧ .

(٢) ابن كثير ، ١١٦/٧ .

(٣) الطبري ، ٦٠٢/٣ ـ ٦٠٣ ، ابن كثير ، ٥٣/٧ .

فكيف إذاً تنطبق تلك التفسيرات المادية على انطلاق المسلمين في حمل دينهم ونشره ، باذلين كل ما يملكون ، مفضلين الموت على الحياة في سبيل نصرته . وهم « قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة » .

ثم ما هي الحاجات والدوافع المادية التي غيرت مفاهيم العرب وغيرهم ممن دخل في الاسلام ، وجعلتهم خلقاً آخر جديداً يعافون كل ما كانت عليه الجاهلية من فواحش وآثام ، واستبدلوها بالمعاني الاسلامية الخيرة . وإلى القارىء هذه الكلمات المعبرة لرجل عاش الجاهلية ، وعرف قذارتها ، ثم دخل الاسلام حينما رأى نوره ، ذلكم هو جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار ، وكان مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة ، فلما أرسلت قريش رسلها تحرض النجاشي ليعيد المسلمين إليها ، استدعاهم وسألهم عن دينهم ، فقال له جعفر (١) :

« أيها الملك ، إنّا كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا

---

(١) رواية عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ « قال ابن اسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة . . . » . ابن هشام ، السيرة النبوية ١/٣٣٤ . انظر كذلك : ابن الأثير ، الكامل ٢/٨٠ .

رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... » (١) .

بم تفسر كل هذه الأمثلة المتوفرة في تاريخ الاسلام ؟ ولِمَ تهمل مثل هذه الأمثلة ويضرب صفحاً عن إيرادها ؟

والحقيقة أن اعتبار العامل الاقتصادي والبحث عن الغنائم كان سبباً في ظهور الاسلام وانتشاره يقصد به نزع الصفة الإلهية عن الاسلام وتشويهه وإضعافه في نفوس المسلمين ؛ ثم القضاء عليه بعد ذلك والإشارة إلى أنه لم يكن إلا موجة كاحدى موجات الفتوح التي انتهى دورها. ثم إن هذه الفكرة تجرهم إلى فكرة أخرى مرتبطة بها وهي القول بأن الدعوة الاسلامية قد أدت دورها واستنفدت أغراضها !! لقد كان لهذه الأفكار الباطلة خطورة في حياة المسلمين ، فقد أنتجت ــ من جملة ما أنتجت ــ جيلاً من ذراري المسلمين لايثق بتراثه ، جيلاً مستغرباً ، قام في أمته بالمهمة التي يريدها المستشرقون وزيادة .

بل أصبحنا نسمع أصوات العبيد والببغاوات ترتفع بالطعن

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٣٣٦ .

والتشكيك بكل مورثات الاسلام وعقائده ، وبالدعوة إلى اطراحه (١) .
ومن هنا تسربت مشارب وارتفعت شعارات لأولئك المفلسين الذين يهتفون في بعض مظاهراتهم متخذين من هذا أو ذاك هداة ومُثلاً ! فلماذا نهتف باسم شرقي أو غربي ولا نفتخر بسعد وطارق وصلاح الدين وأترابهم ؟ (٢) .

إن الذي قلته لايعني أن نهمل ماكتبه المستشرقون وغيرهم ، بل علينا أن ننتفع بالانتاج المنصف المفيد ، وحتى غير المنصف ممكن أن نجني منه نفعاً ، فقد يدفعنا إلى البحث والتنقيب لمعرفة إنتاجنا وحقائقه(٣) . ولكن يجب أن يعتمد المسلمون على أنفسهم في ذلك .

---

(١) راجع : القرضاوي ، درس النكبة الثانية ، ص ٢٧ ، المنجد ، أعمدة النكبة ، ص ٣٥ وبعدها .

(٢) قارن : الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، ص ٢٠٤ .

(٣) ومثل هذا يقال أيضاً في أمور ، كالحالة السياسية التي نعيشها . فاننا نطالب ونرجو فلاناً وعلاناً ونستجدي الشرق والغرب لينصفونا من عدونا ويحلوا مشاكلنا (وهم وراءها) ، ونرمي بكل ثقلنا في هذا الاتجاه . ألا إنه موقف الذليل الضعيف ، والشواهد في التاريخ ـ القريب والبعيد ـ كثيرة ومعروفة .

إذا أردنا حقوقنا وعزتنا فلا يمكن الحصول عليها إلا بأنفسنا بعد التوكل على الله تعالى ، والأخذ بشرعه ؛ وإلا فالضياع ، ولانكون إلا غنيمة للأطراف بكافتها حتى الوسيطة . وما لا نستطيع نحن الحصول عليه لا يهبنا إياه أحد .

وقد آن الأوان لكي نكتب تاريخنا وحضارتنا بأيدينا ونقدمه للآخرين فيقرؤه المستشرقون وغيرهم ، ويرون افتراءاتهم عليه .

انتشار الاسلام بالسيف :

أما هذه الفرية الظالمة وهي أن الاسلام انتشر بالسيف(١) ، فإن جميع الأحداث التاريخية وكافة التعاليم الاسلامية تكذبها وترفضها . ولقد تحدث عن تسامح المسلمين كثير من غير المسلمين وأشادوا به(٢) وحتى من لم يمتلك حسن النية تجاههم(٣)، وما سمعنا في التاريخ أن شخصاً ما أسلم بالإكراه علماً بأن المسلمين كانت لهم الغلبة في الحروب والفتوح وهم أصحاب السلطان ، فما شكا منهم احد في معاملة أو سلوك « الذين إن مكنّٰهم في الأرض أقاموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عٰقبة الأمور »(٤) .

إن هذا الخلق النبيل في معاملة المسلمين لغيرهم نابع من طبيعة الاسلام ومن سعة أفقه وقوة عقيدته وسماحة مبادئه ، ويمكن القول إن تسامح العقيدة والمبدأ يسير طردياً مع سعة أفقها وقوتها ،

---

(١) انظر مثلا : خالدي وفروخ، التبشير والاستعمار، ص٤١ .

(٢) راجع للمؤلف : أندلسيات (المجموعة الثانية) ، ص ٢٢ وبعدها ، ٥٩ .

(٣) برنارد لويس ، العرب والشرق الأوسط ، ص ٨٣ .

(٤) الآية ٤١ من سورة الحج .

ولذلك فاق الاسلام كل ما عداه ، وبالنسبة للأديان السابقة فقد اعترف الاسلام بكتبها كما أنزلهـا الله تعالى ، وبأنبيائها ورسلها عليهم الصلاة والسلام ، بل لقد جعل صحة إسلام المسلم لاتتم إلا إذا آمن بسائر النبيين ولم يفرق بين أحد منهم .

نعم لقد وجد السيف في موجة المد الاسلامي ، ولكن كان لرد المعتدين والمحافظة على الدولة الاسلامية وعلى المسلمين ، كما كان لإزالة العقبات التي تقف في طريق الدعوة الاسلامية . وفي الوقت الذي تؤكد نصوص القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام استنكـار الإكراه على العقيدة والنهي عن إجبـار الناس على الاسلام ؛ فانهـا تحث « على تحطيم القـوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ؛ والتي تعبِّدُ النـاس للنـاس وتمنعهم من العبودية لله ... وهما أمران لاعلاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما » (١) .

فلم يكن السيف إذاً يوماً ما لاجبار الناس على الدين ، وإلا فماذا نقول عن بلاد واسعة جداً لم يصلها الفاتحون ولم يطأ أرضها حافر لفرس مجاهد ، وإن عدد المسلمين فيها حتى اليوم يفوق عدد المسلمين الذين يعيشون في بلدان حمل الفاتحون إليها الاسلام !!

إن جميع النصوص القرآنية والنبوية تتظاهر في تأكيد هذه المعاني ، والمسلمون لايكونون مسلمين إلا بتطبيقها . ويتأكد عمـق إسلامهم بمقدار تطبيق هذه النصوص وإحالتها إلى واقـع عملي ،

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١٦٩/٩ .

وهذا يعني أن التزامهم بهـا أصل من عقيدتهم وأن تسامحهم مـع الناس وترك الحرية لهم جزء من تلك العقيدة . بل إن كل أعمال الحياة ومناشطها بالنسبة للاسلام يكون الاخلاص فيها واتقانها جزءاً من هذه العقيدة ، وبذلك يرضي المسلم ربه وتنسجم تصرفاته مع عقيدته وتزكو تابعيته لهذا الدين .

لقد كان التسامح الاسلامي مثالياً جداً لايمكن أن يصدر عن قوم غير المسلمين وعن دين غير الاسلام ، وإلى القارىء الكريم هذه الصورة التي أثمرها هذا التسامح :

« لما بلغ الجيش الاسلامي وادي الاردن وعسكر أبو عبيدة في فِحل ، كتب الأهالي النصارى إلى المسلمين يقولون : (يا معشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » . « وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الاغريق وتعسفهم . » (١) .

* * *

إن فرية انتشار الاسلام بالسيف تتهم الاسلام بأنه لم يكن فيه من المبادىء ما يجتذب الناس إليه لـذا فهم لم يقبلوه عن طواعية واقتنـاع . ولكن كيف إذاً بقي الناس مسلمين ؟ وحتى حين شنت الحرب ضدهم كمسلمين وفي بعض البقاع لفترات طويلة ؟ إن آيـة

---

(١) توماس ارنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ٧٣ .

دعوة أخرى أو فلسفة أو حضارة لو لاقت جزءاً مما لاقاه الاسلام في عقيدته وبنيه من حملات متعددة الوسائل والاتجاهات وحرب شاملة ، ما كانت لتبقى أبداً ، ولكان موضعها الآن في بطون التاريخ لافي دنيا الناس .

التفسير القومي :

ثم نأتي بعد ذلك إلى التفسير القومي للتاريخ الاسلامي على أساس أنه تاريخ العرب ، أو هو جزء من هذا التاريخ . وليس على أساس أن العرب الذين أسلموا جزء فيه ، وهم إحدى القوميات التي اعتنقته واتخذته لها الهدف الأسمى والغاية العليا .

لقد كان من نتائج هذا الاتجاه أن عرّب أصحابه الانتاج الاسلامي الحضاري كما عربوا تاريخه . ولعلها محاولة لتعريب الاسلام ثم إلى تعطيله !؟ وعلى هذا الأساس أعطي للمسائل ذات الطابع الاسلامي طابع العروبة . وهكذا وجدنا مثلاً سلسلة تراجم لمشاهير المسلمين كان منهم : ابن جرير الطبري ، والظاهر بيبرس ، وصلاح الدين ، وغيرهم وهم ليسوا عرباً ، تسمّى سلسلة «أعلام العرب»(١) . أليس من الصواب أن يطلق على هذه السلسلة « أعلام الاسلام » . ثم رأينا كتاباً آخر يخرج بعنوان « محمد والقومية العربية »(٢) فيالله هل كان سيدنا محمد ﷺ داعية قومية ؟

---

(١) تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر (الدار المصرية للتأليف والترجمة) .

(٢) من سلسلة « مع العرب » رقم ١ ، التي تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة (القاهرة) ، من تأليف الدكتور علي حسني الخربوطلي .

لو أن الأجناس الأخرى التي اشتركت في حمل أمانة الاسلام وشاركت في إنتاجه ، حاولت هي الأخرى تفسير الاسلام على اساس من قوميتها ، فما الذي سيحدث ، وماذا يبقى من الاسلام المنزل من عند الله ؟!

ثم اليس في إعطاء صفة قومية للاسلام حصر لأفق هذا الدين، وانتحال لأمور ، وتحريف لأخرى ؟ اليس ذلك هو نفسه قد يؤدي إلى نزع صفة الإلهية عنه ؟ كما هو إلغاء لعموميته وعالميته وجعله كأية حركة ارضية قام بها رجل وقد يأتي يوم ينتهي فيه فعاليتها وينقضي دورهـا !!

إن هذا كله مخالفة صريحة لكل النصوص الاسلاميــة ولكل تصرفات المسلمين وواقع تاريخهم . ولو كان الاسلام حركة قومية(١) ، كيف كان سينضم إليه غير العرب وهم حتى يومنا هذا أكثر عدداً من المسلمين العرب ، وربمـا اكثر تديناً من بعضهم وحرصـاً على الاسلام ومصلحته ، ولماذا إذاً لاقى الاسلام في عهديه المكي والمدني شر أنواع الحرب المبيدة ، وعلى يد من ؟ على يد العرب !!

إننا حين نتحدث في هذا الجانب لابد لنا من ملاحظة أمور ثلاثة والتمييز بينها (٢) :

---

(١) سيد قطب ، معالم في الطريق ، ص ٣٢ ، الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٨١ .

(٢) راجع أيضاً للمؤلف : أندلسيات (المجموعة الثانية ص ١٥ ــ ١٨) .

أولاً : إن القرآن الكريم ــ دستور الاسلام ــ نزل باللغة العربية في مكة المكرمة على سيدنا محمد ﷺ وهو عربي . وطبيعي أن يكون أتباعه ممن حوله هم العرب إلا قليلاً منهم . لذلك كان الصحابة الكرام الذين حملوا هذا الدين أولاً وجاهدوا في سبيله وضحوا من أجله كان أكثرهم عرباً . هذا هو الأمر المعقول ، وغيره هو الذي لايعقله أحد ، ولو أن رسول الله ﷺ ظهر في قوم آخرين ، لكان أكثر اتباعه بادىء الأمر أولئك القوم ، ولكن هل كان لقريش أن تفتخر بقرشيتها لأن الرسول ﷺ منهم ، وهم الذين أرادوا قتله والتخلص منه ؟ أو هل يفخر أهل المدينة المنورة بمدينتهم لأنه ﷺ هاجر إليها ، دون ارتباط ذلك بالاسلام ؟ أم أنهم يفخرون بالرسول الأمين عليه الصلاة والسلام الذي حمل إليهم الاسلام فسارعوا لتلبيته ؟

لقد عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل العديدة خلال المواسم ، وكان يبحث عمن يستجيب لهذه الدعوة الكريمة استجابة مجردة عن كل نفع ، يخلص لها ويضحي من أجلها ولا يبتغي بها عرضاً ، ما يبتغي إلا مرضاة الله تعالى وما يرجو إلا رحمته وفضله ، فاستجاب له الأنصار ملبين نداء الحق والخير ، وهم معترفون بأن كل الفضل والمنة في ذلك لله تعالى ولرسوله ، وليس العكس (١) . فالشرف بالنسبة للعرب مصدره الاسلام وحده ، ولذلك فضَّلَ المسلمون (الأوائل) ــ غير العرب ــ أعلا البيوتات العربية بعد اسلام أهلها المتأخر .

---

(١) وقد وضحوا هذا المعنى بأصرح بيان حين خطبهم الرسول ﷺ في مكة بعد حملة الفتح . ابن هشام ، السيرة النبوية ٢/٤٩٩ .

ومن هنا أيضاً نلاحظ أنه يوم انتشر الاسلام أصبح الشرف ـ بين العرب أنفسهم ـ لمن سارع للالتحاق به ، والعار لمن فارقه وعاداه ، والخجل والندم لمن تأخر عنه ، كان الذين تأخر اسلامهم وحاربوا النبي ﷺ من قبل يسارعون إلى نصرته ويتنافسون في ذلك ليعوضوا عما فاتهم بتأخرهم عن السابقين إليه . وغدا السبق للاسلام ميزة ما بعدها ميزة . وكان التمايز والاعتزاز بالاسلام وحده ، وبه امتاز المهاجرون والأنصار على غيرهم من الذين دخلوا الاسلام بعدهم ، حتى العطايا (الرواتب) كانت على أساس « السابقة في الاسلام لا على الأحساب »(١) . أما من بقي على كفره ومات عليه فغدا مرذولاً حقيراً لا قيمة له أبداً .

إننا نتساءل : هل كانت العروبة حائلاً للعرب ـ قريبهم وبعيدهم ـ عن حرب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ؟ وبم نفسر مواقف قريش العدائية وحروب الردة ومواقف الغساسنة والمناذرة وكلها كانت ضد دعوة الاسلام ؟ وهل من فرق بين مواقف هؤلاء ومواقف اليهود في المدينة المنورة وخارجها ؟ ألم تتعاون قريش مع اليهود في الاعداد لحرب الاستئصال للمسلمين ، وساقوا الأحزاب من اجل ذلك إلى المدينة المنورة .

إن انضمام العرب إلى هذه الدعوة لم يكن على أساس قومي ولا علاقة له مطلقاً بعرقية معينة . بل إن من أوائل المسلمين من كان غير عربي كبلال الحبشي الذي أصبح ـ وكان عبداً ـ بالاسلام أفضل

---

(١) تاريخ الطبري ، ٣/١٣ ٦.

من أبي سفيان سيد قريش حتى بعد اسلامه ، وكان عمر بن الخطاب يقول : « أبو بكر سيدُنا وأعتق سيدَنا » (١) ، ويريد به (بلالاً) كما أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان يقول لفارسي تداولته الأيدي بالاسترقاق والسخرة : « سلمان منا أهل البيت »(٢) وحين كان الرجل يأتي مسلماً لم يكن النبي ﷺ يسأله عن هويته الشخصية لمعرفة جنسه أو نسبه أو أي شيء آخر ؛ ما كان يهمه غير صدق انتمائه إلى هذا الدين ، كان النسب الذي يعتز به الجميع هو الاسلام .

أبي الاسلامُ لا أبَ لي سواهُ
إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

و « لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ، ونزع موقيه (٣) فأمسكهما بيده وخاض الماء وهو يجر بعيره ، فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ! قال : فصك في صدره وقال : **لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » (٤).**

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠٢/٧ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨٣/٤ ، ٣١٩/٧ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام تسبب في عتقه ، على قاعدة « مولى القوم منهم » .

(٣) الموق : خف غليظ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦٠/٧ .

وحين حمل هؤلاء الاسلام إلى البلدان الأخرى دخل فيه غير العرب ، وكانوا أيضاً متحمسين له فحملوه وضحوا من أجله . وإن أول جيش مسلم عبر إلى الأندلس وتعداده سبعة آلاف ، كان هو وقائده طارق بن زياد كلهم من البربر ، عدا حوالي ٣٠ عربياً كانوا مع الجيش لتفقيههم (١) لأن البربر كانوا حديثي عهد بالاسلام وبحاجة لذلك ، وكان الجميع يلهجون بالحمد والمنة لله الذي هداهم لهذا الدين ويقولون : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ » (٢) .

ولو كانت في دعوة الاسلام أية رائحة لقومية لما أقبل عليه أصحاب القوميات الأخرى مثل هذا الاقبال ، بل لما التحقوا به ولما صهروا جميعاً في بوتقة الاسلام الذي غدا الرابط الوحيد . وكان ذلك واضحاً من أول يوم ظهرت فيه دعوة الاسلام . وإلا فهل ينضوي تحت لواء قومي أحد من خارج تلك القومية ؟ ولماذا إذن لم ينضو تحت لواء الاسلام كل العرب حتى الآن ، وانضوى غير العرب وهم أكثر المسلمين اليوم ؟

لقد كان من قوم الرسول عليه الصلاة والسلام من حارب هذا الدين ، وقاد كبر الحرب الشعواء التي شنت ضده ، والتي كانت تهدف إلى القضاء عليه وعلى رجاله قضاء مبرماً . إن أبا جهل حين ضرب في معركة بدر ، وكان في الرمق الأخير ، كان أهم

---

(١) انظر : فروخ ، العرب والاسلام ، ص ٨٣ .

(٢) الآية ٤٣ من سورة الأعراف .

ما يشغل باله ــ وهو في تلك الحال ــ أن تنتصر قريش . ولما مر به عبد الله بن مسعود «حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى . . . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمقه . . . قال [أبوجهل] : أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله . » (١) .

لقد لاقى الاسلام طيلة حياة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام من العنت والإرهاق والاضطهاد والارهاب على أيدي العرب مالم يلاقِ على أيدي غيرهم .

ثانياً : إن اللغة العربية ــ وهي اللغة التي كتب بها أكثر التراث الاسلامي وإنتاجه الفكري ــ لم يكن ذلك لأنها مرتبطة بجنس او قومية ، بل لأنها لغة القرآن الكريم التي أنزل بها . ولذلك اتخذها البربر ــ مثلاً ــ بعد إسلامهم لغة لهم لحبهم الشديد للاسلام ولولاه ما فعلوا . وهكذا ــ وبنفس الروح ــ تنظر إلى هذه اللغة أقوام أخرى من المسلمين غير العرب . ولولا الاسلام هل كان سيصبح للغة العربية شأن كالذي حصل لها بعد الاسلام ؟ .

لقد لاقت اللغة العربية حرباً عنيفة من أعداء الاسلام لأنها لغة القرآن ، فقامت دعوات متعددة هدفت إلى إضعافها ، بل إلى اطّراحها كالدعوة المأفونة إلى اتخاذ اللهجة العامية ، والدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية (أو فرنجة اللغة العربية وفرنجة كتابتها) . ولارتباط هذه اللغة بالدين رأينا المتدينين من

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٦٣٥ ــ ٦٣٦ .

المسلمين أكثر من غيرهم اهتماماً بهذه اللغة ، كما رأينا الاهتمام الكثير بها من المسلمين المتدينين من غير العرب .

ثالثاً : إن الأمرين السابقين لايبرران بحال أن نجعل الاسلام عربياً ، ولا يمكن أن يكون كذلك حتى لو كان جميع الفاتحين من العرب ، وماذا ستكون مهمة أولئك الفاتحين في تلك الأقطار لو لم يحملوا إلى شعوبها الاسلام ؟ ولماذا لم يخرج العرب من جزيرتهم قبل أن يأتيهم الاسلام .

إن حماة الامبراطورية الفارسية — حين بدأ المسلمون فتوحاتهم — لم يتصوروا أن العرب (المسلمين) سيستطيعون الوقوف ضدهم ، فذلك شيء لم يعهدوه ويعرفوه عنهم أبداً ، وحين رأوا قوتهم كانوا مازالوا يظنون أنهم خرجوا من أجل الغنيمة (١).

لكن خروج العرب المسلمين كان بسبب الاسلام فقط ولخدمته وحده ، ولولاه ماخرجوا . فالواقع يحتم أن نسميهم مسلمين، لأنهم لم يخرجوا على أنهم عرب ولم يخرج معهم كل من ينتمي إلى العروبة.

إن المعارك الأولى الحاسمة في تاريخ الاسلام كان خصم الاسلام الأول فيها هم العرب المشركين ، ومن الصور العجيبة أنك كنت ترى الابن مع المسلمين وترى أباه مع المشركين العرب . فالمعركة كانت تقوم والطرفان عرب ، الطرف الأول عرب مسلمون والطرف الثاني عرب مشركون .

---

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/٤٠ — ٤١ .

إن العرب حين يسمون تاريخهم بعد الإسلام بالتاريخ العربي وحين يسمون نشاطهم أو إنتاجهم الإسلامي عربياً ، فبالإضافة إلى مخالفة هذه التسمية إلى المنطق والواقع ؛ فإنه يقلل من مكانةالعرب المسلمين ويسيء إليهم . لأن توسعهم يعني أنهم خرجوا إذاً للغزو ، وأن هذه الفتوحات كانت موجات بشرية لاتختلفعنموجات الفاتحين قديماً وحديثاً .

ونتساءل : ما هي نظرة هؤلاء وموقفهم من العرب غير المسلمين الذين حاربوا الإسلام أو وقفوا منه على الحياد ؟ ونتساءل أيضاً : هل كنا سنجد للعرب أو اللغة العربية أي مجد أو مكانة لولا الإسلام؟ إن الفضل في مكانة هذه اللغة يعود إلى القرآن الكريم الذي نزل بها ، وإن المسلمين عرباً وغير عرب اعتزوا بها وأحبوها لأنها لغة العقيدة ولغة الإسلام(١) .

يضاف إلى ذلك أننا منذ اليوم الأول من عمر الدعوة الإسلامية

---

(١) المفروض أن حب اللغة العربية من قبل العربي مسألة طبيعية ، وكل إنسان يحب لغته ، وذلك منطبق على جميع الأقوام مع لغاتهم . ولكن الحديث هنا من ناحية ارتباطها بالعقيدة وعمق تعلق المسلم بها لهذا السبب . وإن تعلق المسلم غير العربي بها لا يستند إلا لهذا السبب ، فإن منهم من يؤثر العربية على لغته وذلك بدافع من عقيدته دون شك . فالعقيدة الإسلامية وما يتعلق بها فوق كل اعتبار . وعلى هذا الأساس ينظر المسلم إلى الأمور الأخرى ــ كالوطن مثلاً ــ فإنها كلها مرتبطة بالعقيدة .

لا نجد أيَّة إشارة إلى عروبة الإسلام في اي من آيات الكتاب المجيد وأحاديث الرسول الكريم ﷺ ، وأقوال الصحابة والقادة والمؤرخين ، ولم يبدُ ذلك في أي من مواقفهم وتصرفاتهم . وليست هذه إلا نغمة معاصرة ، فهل إن أولئك جميعاً كانوا مخطئين ؟ أم هي الشعوبية الحديثة ؟!!



كلمة عامة

إن أساليب الحرب التي واجهها التاريخ الاسلامي من أعدائه ليست وليدة هذا القرن ؛ بل كانت في وقت مبكر ومنذ وجد الاسلام وتاريخه . وهم لم يحاولوا فقط التلفيق عليه أو الدس فيه ، ولكنهم حاولوا أيضاً توجيه بعض أحداثه وإثارة الخلاف بين المسلمين .

وفي العصر الحاضر يحاول أعداءالتاريخالاسلاميبالإضافة إلى ماسبق أن يهوّنوا من شأن هذا التاريخ ويعظموا تاريخ العرب في الجاهلية ، وكذلك تاريخ الامم الأخرى ، ليبدو أمامها التاريخ الاسلامي شيئاً لا يذكر . ومن هنا جاء الاهتمام بتاريخ الأمم الغالبة الاوروبية ؛ فَدُرّسَ لنا بتفصيل كثير يفوق أحياناً التفصيل الذي يتعلق بتاريخنا الاسلامي . حتى غدا كثير منا يَعرف عن تاريخهم ورجالهم ونهضاتهم أكثر مما يعرف عن تاريخنا الاسلامي . ولقد عُرض التاريخ الأوروبي(١) ، بصورة تدعو إلى تبجيله وإكباره والنظر إليه على أساس انه قدوة يقتدى به ؛ الأمر الذي يخلو منه ما ندرسه من تاريخنا .

---

(١) ويوماً ما قد يأخذ التاريخ الاشتراكي والشيوعي طريقه في هذا الاتجاه .

ومن هنا كان إعجابنا بغيرنا من دول الشرق والغرب كبيراً ؛ وهم الذين وَجّهوا السهام إلى تاريخنا وتراثنا !! إننا نأخذ أقوالهم أحياناً من غير مناقشة نتيجة لجهلنا بتاريخنا واعجابنا بتاريخهم ؛ وهكذا صار مالديهم هو المثل الأعلى لنا. لقد أحلوا مُثُلَهم في نفوسنا وبذلوا الجهود المختلفة للحد من تعلقنا بتراثنا ، وكان كل همهم أن نتحلل من اتجاهنا ، ونقطع العلاقة بيننا وبين تاريخنا ، واتبعوا لذلك كل الوسائل ، حتى لقد كان التبشير ، والتطبيب ، والتعليم وسيلة لهم لبلوغ ذلك(١) .

أما الاستشراق الماكر فهو وليد التبشير وإن لبس لباس البحث العلمي ، كما لبس التبشير من قبل لباس الرحمة ، وتظاهر بالعطف على الناس وادّعى الإنقاذ ونشر المعرفة . لقد استطاع المبشرون أن يسيطروا في كثير من بلداننا الاسلامية ــ العربية منها وغير العربية ــ على التعليم . فكان رجالهم ــ أيام الاحتلال ــ يشرفون عليه ويخططون له ، وبعد انتهاء الاحتلال السياسي كان وكلاؤهم الأمناء من أهل البلاد يؤدون تلك المهمة خير أداء . وهم من ورائهم يوجهونهم ويخططون لهم ، إذا احتاجوا للتخطيط أو قصرت عنه طاقاتهم . ولذلك فهم في بعض البلدان يفرضون رجالاً معينين في مناصب معينة ، كان من أهمها التعليم والإعلام .

---

(١) خالدي وفروخ ، التبشير والاستعمار ، ص ٣٥ ــ ٣٨ ، ٥٩ ــ ٦٣ ، ٦٦ ــ ٦٨ . شاتليه ، الغارة على العالم الاسلامي ، ص ٤٩ ــ ٧٤ .

ومن هنا ضَعُفَت هذه الأمة وقلّت معرفتها بتعاليم دينها وتاريخها ، وأولت ثقتها وتعظيمها لأولئك الغالبين الذين تفوقوا في القوة والإنتاج المادي . ومن هنا أصبحنا نرى أنّ أي اتجاه مهما كان مبطلاً ، وأية فلسفة مهما بلغت من العفونة ، أو أية فكرة مهما اتصفت به من الرعونة ، وأي تهمة مهما حملت من الخشونة قد تجد لها في جسم هذه الأمة وفي عقولها مكاناً ، وذلك بعد أن ضعفت مقاومتها وقلت ، أو كادت تزول مناعتُها التي كان إيمانها بدينها وتاريخها مصدراً لها .

ثم نرى هؤلاء الأعداء الماكرين أيضاً قد زاد اهتمامهم بكل شيء يضرّ بالاسلام وتاريخه ، بل لقد صرفوا اهتمامهم لحربه وتشويهه . ثم نراهم قد شغلوا المسلمين بإثارة النعرات القديمة والقوميات الضيقة ، وذلك بعد أن أثاروا الاهتمام الشديد — على طريقتهم — بإحياء تراث الأمم التي سبقت الاسلام ، وبنبش حضارتها وترميم مخلفاتها وتعظيم تاريخها والنظر إليه نظرة البراءة والسلامة من كل عيب، ونظرة الإعجاب والتعظيم . وهكذا أورثت هذه الاهتمامات لدى كثير من الدول الاسلامية نعرات قومية ووطنية ضيقة ، من كسروية ، إلى فرعونية ، إلى بابلية ، ألى فينيقية ومجوسية ورومانية . وأنشأوا معاهد الدراسات والمتاحف التي تهتم بهذه الأمور أيما اهتمام .

وأرسلوا منقّبيهم وعلماءهم لإحياء هذا التراث ، ثم أطلقوا شبهاتهم على الاسلام بسبب ما وصلوا اليه من نتائج . ولستُ ممن يمنع دراسة التاريخ الغابر وإنتاج الانسان ومعرفة أحواله ، فهو شيء مفيد ، لكن الذي أريده هو الأسلوب الذي ينظر به إلى

هذا التاريخ الغابر الذي انصب عليه الاهتمام ، والذي كان من إنتاج العقلية الوثنية في كثير منه إن لم يكن برمّته .

والعجيب أنه أهملت في هذا التاريخ كافة دعوات الأنبياء ، فلا تذكر ولو بكلمة ، حتى لتبدو وكأنه لا وجود لها . ولقد محا الاسلام تلك الوثنية وهم يريدون لها اليوم أن تطل برأسها مرة أخرى .

إن هذا الاهتمام بهذا التاريخ الوثني يؤدي إلى إثارة الاتجاهات المحلية أو الوطنية أو القومية على حساب الاسلام الذي كان هو الحصن والموطن والموئل لكل الأقوام ورائدها ومنطلقها . إن هذا الاهتمام يفصل بين الشعوب الاسلامية ويَقطع آصرتها (١) .

وقد شجع اعداء الاسلام هذه الاتجاهات وبذلوا لها الأموال . لكن سعيهم سيخفق إن شاء الله وبمعونته .

إننا لا نريد أن ندرس هذه الحقب على أساس الارتباط بها والتعظيم لها ، ولا على أساس أن تُصبح مصدراً لإثارة الشبهات والشكوك ، بل نريد أن تدرس بوجهة النظر الاسلامية ومن قبل باحثين مسلمين ، يردّون الأمور إلى نصابها ، ويستقرئون حوادث التاريخ كما هي في واقعها وعلى أساس سليم ؛ دون إغفال لأي جانب ، أو إهمالٍ لحقيقة من الحقائق ، أو تشويه لأي معنى .

---

(١) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية، ٢/١٣١ــ١٣٣
قارن : برنارد لويس ، الغرب والشرق الأوسط ، ص ١٠٨ وبعدها .

لقد كان من نتيجة هذا الاهتمام ان شاهدنا في ميادين المدن والعواصم تماثيل لأشخاص ذمهم القرآن ونعى عليهم علوهم في الارض وادعاءهم الألوهية . وقد صرفنا لهذه الأمور الأموال الطائلة التي نحن بحاجتها لكي تسهم في رد عدوان وبنيان كيان .

لقد زينا بعض المباني بالتماثيل ، واصدرنا العملات والطوابع البريدية ، وصنعنا الأثاثات والملابس والتحف والزخارف وزيناها جميعاً بصور أولئك الوثنيين . بل ذهبنا إلى إحياء أسماء أولئك ، واطلقناها على الشوارع والساحات بل وحتى على الناس . وكل هذا لايخلو من شعور طيب وارتباط بهذه المعاني ، وفي الوقت نفسه تنكرنا للاسلام ، بل لقد غالى البعض فاعتبر الاسلام استعماراً(١) ، لا بد أن يتحرر منه !!

إن الحرب التي تُشن ضد التاريخ الاسلامي لم تتوقف حتى هذه اللحظة وإن كانت قد خفّت أو ظهرت بأثواب جديدة عصرية متطورة ، حتي أطلقت على الاسلام تعابير ووصفته بأوصاف ليست له . فغدونا نسمع اعتبار الاسلام ثورة ، كما وُصف نفر من الصحابة بالاشتراكيين أو الديمقراطيين أو القوميين ، ثم صنفناهم إلى يمينيين ويساريين(٢) .

---

(١) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، ٢/٩١ – ٩٢ ، ١٣٩ ، ١٤١ .

(٢) انظر : فتحي عثمان ، التاريخ الاسلامي والمذهب المادي في التفسير ، ص ١٠٧ وبعدها .

إن تدريس التاريخ الاسلامي على حقيقته يثير في نفوس الدارسين الاعتزاز والإعجاب ، وذلك نابع من طبيعة هذا التاريخ المشرق حين يُعرض على حقيقته ومن غير تعمّل أو تكلف . لأن الإشراق والروعة والسمو فيه هي نتاج العزة وثمرة الإيمان الحق والانسانية في أعلى معانيها وأجلى صورها وأجمل مثلها .

إن تدريسه بهذا الأسلوب يُفوّت على الأعداء الأغراض التي رسموا خططهم للوصول إليها ، ووجهوا سهامهم الظالمة للنيل منها . لذلك فهم ما زالوا يريدون أن يُدرّس هذا التاريخ من وجهة نظر غير إسلامية ، مجافية للواقع الاسلامي ، وبطريقة تصوّره حقبة من الزمان انتهت وانتهى معها محركها (الاسلام) وانتهت الحاجة إليه . وبشكل لا يَظهر معه هذا التاريخُ المتعدد الجوانب والنشاطات الشامل لحياة المسلمين ثمرةً للعقيدة الاسلامية .

إن دراسة تاريخنا ، بشكل أصيل واقعي علمي متحر للصواب وللمعاني التي وراء هذا التاريخ سوف تكون عاملاً في بعث إسلامي مرتقب وجوده ، يحمل راية الخير ومشعل النور الذي ينير درب السالكين . وذلك ما يخافه الاعداء وترتعد منه فرائصهم .

إن هنالك وثيقة(١) خطيرة صدرت ضد التاريخ الاسلامي ، تدعو إلى حربه وتشويهه . والوثيقة تؤكد بأن طريقة تدريس التاريخ الاسلامي بحالته القديمة (الحالية) ، على الرغم من عدم استيفائها واستلهامها لروح هذا الدين فهي تجعل الدارسين يربطون الحياة بالدين . ولذلك فإن الوثيقة تقترح من أجل الوصول إلى محو ارتباط

---

(١) صدرت هذه الوثيقة في مصر الثورة .

الاسلام بالحياة ومحو تأثيره في إيقاد الشعور الاسلامي ؛ تقترح تغيير مناهج تدريس التاريخ الاسلامي في المدارس وربطها بمعتقدات غير إسلامية . مع إبراز وتكبير بعض الهفوات في التاريخ الاسلامي والتي كان فيها انحراف عن تعاليم الاسلام ، وبيان أن الغرب لم يتقدم تقدمه السريع إلا بعد أن هزم الكنيسة وأقصى تعاليمها عن الحياة السياسية . لقد صدرت تلك الوثيقة السرية الخطيرة في بلد مسلم ، ثم أمكن نشرها بعد الحصول عليها ضمن مخطط يرمي للقضاء على الاسلام بالاستمرار في عملية التجهيل والإبعاد عن الاسلام بكل الوسائل ودونما رحمة .

إن ما أرادته هذه الوثيقة هو هدف قديم نلحظه في الأسس التي قامت عليها كثير من جامعاتنا ، وبموجبه وعلى هديه ـ تصريحاً أو تلميحاً ـ أسست جامعة القاهرة وغيرها من معاهد التعليم وتلتها كثير من جامعاتنا . وذلك ما كان يسعى إليه رجال الاستعمار في عدد من بلداننا ؛ الذين اجتهدوا في أن يضعوا مناهج التعليم ويدفعوها في هذا التيار(١) .

إن الذين أصدروا الوثيقة السابقة الأثيمة وغيرهم يعلمون جيداً ما للتاريخ الاسلامي من أهمية في توجيه الأمة ، والإسهام في بناء كيانها الفكري ومثلها الخلقية والاجتماعية وتكوينها العقيدي . وهم يدركون أن للتاريخ الاسلامي دوراً مهماً وفعالاً بالنسبة لحياة الأمة المسلمة لذا فهم اتجهوا بكيدهم إليه .



(١) قارن : محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، ٥٥/١ ، ٢٢٨/٢ ؛ وله: حصوننا مهددة من داخلها، ص ٢٧٧ـ٢٩٥ .

إن إعجابنا بالغرب جعلنا نحاول اقتفاء آثاره في كل شيء تقريباً . وقد عممنا على أحوالنا وحياتنا وتاريخنا خطوات ونتائج وصل هو إليها نتيجة لظروف ما كان لها وجود في العالم الإسلامي ، كالصراع بين الكنيسة والعلم واضطهاد العلماء ووضع رجال الكنيسة في موضع المعادي لحركات التقدم(١) . إذا كان هذا قد حدث هناك فما ذنبنا نحن ، لقد كان رجال الاسلام قادة العلم وقادة الحياة ، ولقد وقفوا في وجه الظلم دونما خوف أو وجل . ألم نسمع بقول رسول الله ﷺ : « سيدُ الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأَمرَه ونهاه فقتله » . وحتى هذا الوقت الحاضر فما زال رجالات الاسلام ـ رغم الظروف القاسية ـ يقدمون الأمثلة الحية على ذلك ، فهم أوّل من يقف في وجه الطغيان والطواغيت ، ويقولون كلمة الحق في وقتٍ جَبُن الكثير حتى عن سماعها .

والحديث عن الصراع بين العلم والكنيسة أمر مهم يجب أن نتبيّنه . ولذلك حين نتحدث عنه يجب أن نحدده تحديداً بيناً فنقول : إنه صراع بين رجال الكنيسة والعلماء ، ثم إن هذا الصراع لا يعرفه الاسلام وتنفر منه طبيعته .

وهم حين يتحدثون عن العصور الوسطى في أوروبا ، يريدون اعطاء

---

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٤ـ١٩ ؛ محمد قطب ، معركة التقاليد ، ص ٩ وبعدها .

الصفة التي كانت لها للعصور الوسطى في التاريخ الاسلامي ؛ وما أبعد الفرق بينهما ، فتلك كانت مظلمة ، وهذه منيرة رائعة .

لقد أحاطت بالتاريخ الاسلامي كثير من الشبهات وألم به عدد من النكبات على يد أعداء الاسلام الذين لهم في ذلك مصالح تعددت بواعثها . ومن المؤسف أن ذلك غير مقتصر على أعداء الاسلام من غير ابنائه ـ مستشرقين وغيرهم ـ ممن يعملون ويتحركون بمقتضى مخطط معين ، بل ساهم في ذلك عدد من المسلمين الذين واكبوا هذه المسيرة واسهموا في تأكيدها واستمرارها .

إن التاريخ الاسلامي اليوم موجود في مطولات المؤرخين المسلمين ، وفي كتب المحدثين المنصفين من هؤلاء الأعداء . وكتابة هذا التاريخ وعرضه بأسلوب العصر ومن وجهة النظر الاسلامية (الواقعية) يحتاج إلى جهود كبيرة . وقد وجدت محاولات مشكورة وصدرت مؤلفات في هذا الميدان ؛ ولكن ما يزال هذا التاريخ يحتاج إلى عرض شيق ، وكذلك إلى تنقيته بأسلوب متمكن من الناحيتين العلمية والعقيدية . ولعله لايستطيع أن يفهم التاريخ الاسلامي أو يكتبه من لايعيش في جوه ويفهم نهجه وطبيعته ، بل الأفضل والأصوب أن يكون من المؤمنين به المتعمقين في دراسته .

كما لابد أن يعاد النظر في مناهجنا الدراسية في كل مراحلها والعناية بتدريس التاريخ الاسلامي تأليفاً ومنهجاً ، كما يستلزم ذلك إعداد المدرسين على هذه الأضواء . ولذلك فان عمل المؤرخ المسلم مُجْهِد وضخم كما هو مهم ، لأسباب منها أن الظروف التي مر بها

هذا التاريخ غبشت سطوعه وحالت دون فهم جوانب كثيرة منه .
ومن المهم بمكان توفير الوقت والإمكانيات لكل من يعنيهم أو يهممهم هذا الأمر من الكتاب والعلماء والمؤرخين .

إنه لابد من تنقية هذا التاريخ ثم كتابته وعرضه بشكل يتفق وطبيعة الاسلام .وهذا يقتضي جهوداً ضخمة من كافة المسؤولين أفراداً وهيئات .



مقترحات

إن من المناسب جداً أن نذكر بعض الخطوات التي تسهم في خدمة تاريخنا ؛ في مجالات : فهمه، وطريقة تدريسه، ورد الشبهات عنه ، وهي خطوات تهم رجال التربية والتعليم،وعلى وجه الخصوص المهتمين بالتاريخ الاسلامي تدريساً وتأليفاً .

إن عمل المؤرخ المسلم كبير ومهم جداً لأسباب سبقت الاشارة إليها ؛ ومنها أن الظروف السابقة حالت دون فهم أشياء كثيرة كان عليه أن يدرسها بدقة ، ولم يتوفر له ذلك لقلة الامكانيات وانشغال الأفراد والأساتذة المتخصصين بتهيئة معاشهم وضمان مورد لهم . ولعله ليس من الخطأ أن نقول : إن أصحاب البحث والتأليف في أكثر الأحيان ، إن لم يكن في كلها ، قليلو الامكانيات المادية . ولذلك فان الأمر يتطلب أن تقوم به هيئة ذات إمكانيات كافية ؛ لتوفيرالجو الملائم لابالنسبة للتاريخ الاسلامي فقط ولكن بالنسبة لفروع الدراسات الاسلامية الأخرى(١) ، على نحو ما عملت وزارة الشؤون الاسلامية في الكويت في مشروع موسوعة الفقه الاسلامي .

إن لدى الهيئات العلمية والمؤسسات وبعض الدول الاسلامية رغبة وتحمساً للقيام بمشروع يخدم التاريخ الاسلامي وغيره من

---

(١) ويرد هنا ذكر مشروع تأليف دائرة معارف اسلامية على نسق سليم .

فروع المعرفة الاسلامية . ولكن لابد من التنسيق في عمل العاملين أفراداً وجماعات ، وذلك بتكوين لجنة تتولى هذه المهمة .

وبإمكان هذه اللجنة أن تقوم بالاشراف على كتابة التاريخ الاسلامي من وجهة نظر ومنطلقات وأسس علمية إسلامية . على اعتبار أن التاريخ الاسلامي مرتبط بالعقيدة من حيث الدافع والتأثر ، ومن حيث المحرك والصبغة الدائمة؛ مع بيان أثر العقيدة في العمل ونتائجها، التزاماً بها أوانحرافاً عنها .وعلىاعتبارأن هذا التاريخ كائن حي متصل الحياة لايزال مستمراً وفعالاً حتى الآن رغم ما أصابه . وهذا يقتضينا أن تكون كتابة التاريخ الاسلامي مستمرة متصلة أفقاً وطولاً ، أعني شاملاً لجميع بقاع المسلمين حتى يومهم هذا .

والمقصود بـ **وجهة النظر الاسلامية أو المنطلقات الاسلامية** في كتابة وتدريس التاريخ الاسلامي هو أن ندحض اولاً كل الافتراءات والتلفيقات التي أقحمت على هذا التاريخ ، وكذلك التفسيرات الخاطئة والباطلة التي قامت عليها . ثم عرض الوقائع التاريخية الصحيحة بكل جوانبها مسلسلة ومكتملة ، واعتبارا ماوراءها من المعاني التي ارتبطت بها والأسس التي قامت عليها وفهمها على ضوئها . كل ذلك على قواعد منهجية مستقلة واعية مدركة ، وامكانيات علمية وافية تتصف بالخلقية والدقة ، والأمانة والانصاف(١) ، كما تتصف بالتتبع والتقصي ، والتمحيص والمقارنة

---

(١) راجع للمؤلف : الحضارة الاسلامية في الأندلس ص٦٣ .

والإدراك الشامل لطبيعة هـذا التاريخ ومجرياته ، وفهم الحيـاة الاسلامية والعقيدة الاسلامية وشمولها . ثم ــ من ناحيتنا ــ الإيمان بهذا كله والعيش في أجوائــه كي تكون زاوية النظر أكثر مركزيــة وانطباقاً . ويضاف إلى ذلك أيضاً أن ندرك أهمية هذا التاريخ في حياتنا ، وأننا ــ كمسلمين ــ مرتبطون به وهو جزء من حياة الأمة المسلمة . ونَدْرُسه وندرّسه أيضاً على أساس العبرة والاقتداء والإفادة الشاملة .

لذا فانه « يصبح عرض التاريخ الاسلامي بصــورة صحيحة ضرورة لامفر منها ، ليس فقط لأهميتها ولكن لانطباقها والواقــع التاريخي . ولكن هذا العرض لا يمكن أن يتهيأ إلا إذا كان من منطلق إسلامي ؛ وبقلم من يقف في المركز الاسلامي يطل على الحياة الاسلامية ويعيش الباحث بكل كيانه في جو الاسلام »(١) .

وهذا المشروع الذي لابد أن تنفق عليه المؤسسات المعنية يجب أن تقوم به لجنة يمنح القائمون عليها التفرغ الكلي أو الجزئي للقيام بهــذه المهمة . وتكَوّن من أساتــذة وباحثين متخصصين يملكون الامكانيات العلمية كما يملكون العقلية والروح الاسلامي ، والرغبــة في انصاف هذا التاريخ وعرض تراثه وتشريعه .

إنه لا يصح أبداً أن نأخذ تاريخنا من كتابات جورج (جرجي) زيدان أو فيليب حتي أو ساطع الحصري، ولا من المبشرين والمتعصبين

---

(١) فيصل حنبلي « أهمية علم التاريخ » مجلة البعث الاسلامي المجلد : ١٣ ، العدد ٥ ، ص ٥٢ ، ٥٦ .

من المستشرقين وعلى طريقة الجامعات الأمريكية وغيرها في بلادنا . كما لايصح ومن غير المأمون أن نؤمّل بالجامعة العربية لتقوم بهذا الدور .

إن كل أمة تحترم نفسها وعقيدتها ولها شخصيتها لاتَهمل تاريخها ، ولا ترضى أي نوع من التعليم أو الأفكار التي تصطدم مع عقيدتها ، ولا تسكت عن الموجِّهين الذين يشوهون هذا التاريخ ، ويثيرون الشبهات الباطلة التي لاسند لها من الواقع ، وليس وراءها إلا العداء والكراهية . وإن كان لابد من ذكرها ، فعلينا مناقشتها(١) والتوصل إلى الحقيقة الناصعة .

إننا ندرك أهمية النقد العلمي البنّاء ، ونحث عليه . ولكننا لانرضى أبداً أن نخدع باسمه ، وأن نشوه تاريخنا تحت مظلته .

● ● ●

لا بد من مراعاة هذه الأمور في مراحل التعليم المختلفة في بلادنا وإعداد المدرسين على هذا الأساس . وهذا يقتضي أن نعيد النظر في مناهجنا المختلفة ، ونضع منهجاً يُدرّس فيه التاريخ الاسلامي من وجهة النظر الاسلامية ومن منطلق إسلامي ، وذلك يعني الانصاف ، والبحث عن الحقيقة .

وإذا أردنا أن نوجِد الوَحدة العقيدية والشعورية والنفسية والعقلية في كل فرد من أفراد هذه الأمة ، فلابد أن تسير المناهج الأخرى بنفس الأسلوب ، وبذلك نرد كل أمورنا إلى الحياةالاسلامية

---

(١) انظر : الندوي ، نحو التربية الاسلامية الحرة ، ص ٦٧ وبعدها .

ومنهج الاسلام لتنهل من معين واحد . وبهذا وحده نكون مسلمين وتكون للاسلام الهيمنة على تربية الأمة .

ولكي تكون كل أمورنا ومقاييسنا على أساس إسلامي فالأمر يقتضي الا يُدرسَ التاريخ الاسلامي وحده من وجهة النظر الاسلامية؛ ولكن يجب أن تكون دراستنا كذلك لكافة مراحل التاريخ التي سبقت الاسلام والتي لحقته للأمم الأخرى . يجب أن تكون دراسة كل أنواع التاريخ من وجهة النظر الاسلامية ، التي تتحرى الدقة والأصالة ، وبها نزن ونقيس التصرفات والسلوك الاجتماعي وكافة أنظمة الحياة الانسانية ، ودون انسياق وراء الادّعاءات، وذلك يعني أيضاً منتهى الدقة وأمانة العرض .

بل أذهب إلى أبعد من ذلك ، يجب أن تكون دراسة جميع العلوم والمواد المختلفة في كافة المراحل على أساس إسلامي ونظرة إسلامية ؛ وإلا سنكون متناقضين ونقيم في نفوس الأبناء صراعاً ينشب مما لديهم من صور إسلامية ـ بعضها غير عميق الجذور ـ ومن صور غير إسلامية يتلقونها من العلوم الأخرى . علينا الا ندرّس طالبنا الاسلام ونطالبه به في الدين والعقيدة والتاريخ الاسلامي ، أو نَدَرّسه عظمة الاسلام وأنه وحي من الله ، ثم هو يَدْرس في تاريخ الأمم الأخرى ما يثير في نفسه القلق أو في فكره الشبهات، أو التعظيم لها والاستهانة بتاريخه . أو يدرس في العلوم والطبيعة بعض نظريات ـ على الرغم من عدم ثبوتها علمياً بعد ، وربما لم يدّعِ أصحابها ولا قائلوها ذلك ـ تناقض الاسلام .

كيف ندرس طالبنا في الدين حرمة الربا وكتاب الرياضيات مملوء بالمسائل الحسابية الربوية؟ خاصة وأن بناء المسألة الحسابية على

انها معاملات مقبولة جارية ومألوفة في بلادنا ، وخاصة في المراحل السابقة للجامعة . إن هذا الأمر ينشىء في نفسه صراعاً وقلقاً واضطراباً !!

إن بناة الحضارة الاسلامية الذين أنتجوا في العلوم البحتة كانوا من أكبر المؤمنين ، ولم نجد من الأفكار الشاذة لدى علماء المسلمين إلا من أولئك الذين درسوا فلسفات الأمم الأخرى بالتقدير والإكبار لها ، رغم مصادرها الوثنية كالفلسفة اليونانية . لقد ظهر أثر ذلك في أفكار بعض العلماء المسلمين كالفارابي ، الذي تكلم أحياناً بما يخالف العقيدة الاسلامية ، وعلى الرغم من ذلك فالرجل مؤمن موحد ، وإن كان قد تأثر ببعض هذه الأفكار الوثنية ، وأيضاً لم يكن لتلك الافكار نتائج وآثار لأن المسلمين كانوا ملمين بعقيدتهم وتاريخهم ، أقوياء في إيمانهم .

لقد كان قادة العلوم والمعارف في تاريخنا من أكبر المؤمنين ، ولقد استخدموا علومهم في خدمة عقيدتهم ، وبالتالي في خدمة مجتمعهم وكافة بني الانسان، نذكر منهم : ابن الطفيل ،وابن حزم ، وجابر بن حيان ، وأبا عبيد البكري ، وأبا القاسم الزهراوي ، وأبناء زهر ، وابن فرناس صاحب أول محاولة للطيران .

ويروى عن بعض علماء المسلمين أنه كان حين تقف أمام أحدهم معضلة أو معادلة كيميائية أو رياضية أو علمية أخرى كان يلجأ إلى الله ، ويدعوه في نهاية صلاته أن يعينه على حلها . ولقد ظهر الايمان واضحاً عند عدد من غير المسلمين، لقد وصلوا إلى الايمان القوي بالله وحده عن طريق بحوثهم . وليرجع القارىء إلى كتاب : **العلم يدعو للايمان** لـ (كريسي موريسون ، ترجمة صالح محمود الفلكي) وكتاب :

العودة إلى الايمان لـ (هنري لنك ، ترجمة ثروت عكاشة) وكتاب: **الله يتجلى في عصر العلم** (لطائفة من العلماء الغربيين) ليرجع القارىء إلى هذه الكتب ليرى حقيقة ما قلناه .

● ● ●

إنه لابد للتربية من هدف ، ألسنا نحرص على تنمية الطاقات العقلية والخلقية والنفسية لدى طلابنا ؟ إن هذا بعض ما يريده الاسلام .

الحقيقة أن جميع فروع المعرفة والمواد التدريسية يجب أن تتعاون في بناء الشخصية المسلمة لدى الطلبة .

وربما كانت المواد التي وضعت فيها الشكوك جديرة ـ لو درست بطريقة أحسن ـ بأن تكون طريقاً صحيحاً إلى الإيمان بالله .

فالحق أن العلوم الطبيعية وغيرها كلما أحسنا الاستفادة منها كانت درباً إلى الإيمان بالله ودليلاً إليه وسنداً له لا العكس . إذاً فلا بد أن تدرس هذه العلوم وغيرها من وجهة النظر الاسلامية ، وبمنطلق إسلامي « وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ » ؟ (١) .

بل لعلي أذهب مرة أخرى إلى أبعد من ذلك فأقول : إن كل فكرة أو حقيقة علمية ثابتة لايمكن أن تخالف الاسلام ، لأن الله الذي خلق الكون وما فيه ـ وكل عمل العلماء هو اكتشاف حقائقه والاستفادة منها ، لا إيجادها ـ لا يمكن أن يصدر عنه كلام يناقض

---

(١) الآيتان ٢٠ ـ ٢١ من سورة الذاريات .

تلك الحقائق ، وكلاهما من مصدر واحد . لقد صرح علماؤنا بأن العلم الصحيح لايمكن أبداً أن يخالف النص الصريح .

بل اذهب مرة ثالثة إلى أبعد من ذلك فأقول : إن أية نظرية علمية مهما كان قائلها ، إذا وجدناها مخالفة للعقيدة الاسلامية فالنظرية هي الخاطئة ؛ ولا توضع بسببها على الاسلام علامة استفهام ولا ترفع في وجهه اشارة اتهام،وعلينا أن نطلب من صاحب تلك النظرية أن يعيد النظر ببحثه ليظهر له ما قد خفي عليه من خطأ .

● ● ●

ولعله من المناسب أن ننبه هنا أن القرآن الكريم ليس كتاب اختصاص في علم معين من العلوم تلتمس فيه الحلول لكل معضلاته ، وأن ماجاء فيه من إشارات في بعض العلوم المتعلقة بالكون كان لدلالة الناس على خالقهم وموجدهم فيما يشاهدونه من خلقه .

إن كثيراً من الآيات الكونية والتاريخية والنفسيةوجدتلها من الواقع مايؤيدها، ولا تزال مدلولات آيات عديدة تنتظرمن يكشفعن مطابقتها لواقع الحياة ، ممّا يجهله العلماء إلى الآن ، ولقد سبق الاسلام غيره في الاشارة إليها وهي تعتبر من جملة معجزاته .

وعلى الرغم من ذلك فلا بد من التروي في تفسير كثير من الآيات المتعلقة بنظام الكون ، ويجب ألا يبهرنا بريق بعض النظريات فنحاول تفسير بعض الآيات تفسيراً قهرياً ، فانه لايصح أن تستمد القوة للقرآن الكريم مما يصل إليه العلماء بل العكس هو الصحيح ، إن القرآن كتاب هداية وارشاد لبناء مجتمع سليم وعالم

فاضل قويم ، لم يترك في هذا صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ، وإن ما فيه من آيات علمية سيقت لتأييد هذا الاتجاه وتوكيده .

إن كثيراً من المعارف والعلوم ـ والبحتة منها على وجه الخصوص ـ كانت مواليد إسلامية أسهم السلف فيها اسهاماً جعلها علماً بالمعنى الصحيح . وعنا نحن المسلمين انتقلت إلى الغرب وغيره، وتأثرت بها سائر الحضارات ، ولكن هذه الأمور نجهلها ، وإن هناك من يهمه أن نبقى في حالة جهل لها .

● ● ●

إن هذا الجانب ـ جانب العلوم البحتة ـ عظيم في حضارة الاسلام، وأعظم منه هو الأمر الذي قامت عليه هذه الإنتاجات ، والأصل الذي استندت إليه وهو عقيدة الاسلام ونظرته الكلية المتساوقة المتسعة المنسجمة في الكليات والجزئيات للكون والانسان والحياة .

ويمكن القول بأن مقياس أهمية العقيدة والفكرة هو مقدار تكريمها للانسان ، والقيمة التي تعطيها له، والمكانة التي تضعه فيها، والاسلام يعلو على كل العقائد في هذا الجانب ، فهو معروف بتكريمه للانسان في حالة الحياة والموت « ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ »(١) ؛ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « مرت بنا جنازة فقام النبي ﷺ فقمنا فقلنا : يا رسول الله ، إنها

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

جنازة يهودي . [فقال : أليست نفساً ؟] إذا رأيتم الجنازة فقوموا » (١) .

وأين هذا من إهدار كرامة الانسان حياً وميتاً في الحضارة الغربية ، حتى لقد غدا قتله أفراداً وجماعات أمراً غير ذا بال أحياناً .

● ● ●

قد يقول قائل : ما علاقة مثل هذه الأمور ببحث في التاريخ ؟ والجواب على ذلك أن هناك ارتباطاً وثيقاً إذا أردنا أن نعتبر الاسلام ككل ، وإذا أردنا أن ننظر إلى التاريخ الاسلامي نظرة صحيحةالمنطلق والهدف . أما إذا درسناه كأحداث فقط فاننا سنجهل كثيراً منه ويصبح غامضاً ، ثم نخطىء البداية والهدف . وبذلك تكون دراستنا دون جذور ومجردة عن الغاية .

يجب أن تكون دراستنا للتاريخ الاسلامي شاملة ، لاتشمل فقط مقاطع معينة ـ كالمعارك مثلاً ـ وإنما تكون دراسة تاريخية على اعتبار أن التاريخ يستوعب كل جوانب النشاط الانساني وتراثه الحضاري بالمعنى الشامل . أي : الحضارة متمثلة في إنتاجها الفكري والعملي ، الاجتماعي والخلقي السلوكي ، وفي القيم التي أوجدت كل ذلك .

ولكن ليس من الضروري أن تقوم الدراسة في مراحلها على طريقة السرد الزمني دون ترك لأي حدث ، فلا داعي لتدريس الطالب

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ٤٢٣/٣ ، صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ٦٦٠/٢ .

في المراحل المبكرة مسائل الخلافات السياسية إلا بمقدار بسيط ؛ أما التعمق بها وبسطها أمامه فهو أمر لايحتاجه بل لايستوعبه طالب في تلك المرحلة ، وقد لايفهمها فتضره .

ويجب أن يَدرّس التاريخ القديم لاعلى أساس تعظيمه كما هو الشأن الآن في كثير من الكتب والمناهج . بل يجب أن يدرس على أساس من نظرة القرآن الكريم إليه ، وأخذ العبرة من أحداثه . فإن « المنهج القرآني ينقل البشرية إلى هذا الأفق ، ويشرح لهم منهج النظر في أحداث التاريخ الانساني . وهذا المنهج ليس مرحلة في طرائق الفكر والمعرفة ، إنما هو الذى يملك وحده اعطاء التفسير للتاريخ الانساني . » (١) ، « قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ »(٢) ، « أولم يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (٣) .

● ● ●

وتدريسنا للتاريخ الاسلامي يجب أن يحقق أهدافاً كثيرة ، إضافة إلى الأهداف التي تتحقق بدراسة التاريخ عموماً . منها ان تتحقق القدوة والأسوة،وأن ترَبّى لدى المسلم العقلية والنفسية

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٧/١٤٢ .

(٢) الآية ١١ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩ من سورة الروم .

الاسلاميةالتي يعتز به،وان يجعل منه ذا خلقية عالية، وأن يعنى بتربية شعوره الاسلامي ورعايته وتثبيت معانيه . وهذا لايتأتى إلا أن يكتب تاريخنا بمنطلقات ونظرات اسلامية تتحرى الحقيقة دائماً ، ولا بد لمن يكتبه أن يكون له إلمام بالعلوم الاسلامية الأخرى . ولا بد أن تكون كتابته على اعتبار انه مصدر عزة للمسلم ، ومنبع لتوعيته ، ووسيلة لشحذ الهمة وتأكيد الثقة بالدور الذي ينتظر هذه الأمة .

ومن اجل تكوين عقلية ناقدة مميزة واستعدادات للتتبع والاستقراء لدى الجيل المسلم ، يجب أن يكون الاهتمام في تدريس التاريخ وتأليفه منصباً على النظرة إلى الخطوط العامة الكلية لهذا التاريخ ، والاهتمام بفقه وتعليل الأحداث ، وربط الظواهر والنتائج فيما بينها ثم بمقدماتها وأسبابها . يجب عدم التأكيد الكثير على إلزام الطالب بالطريقة الصمّية والحفظ التتابعي والمسائل الرقمية وتواريخ الأحداث على حساب غيرها . وعدم الاكتفاء بالطريقة السردية ، وإن كانت هي الأساس ، لأن الاكتفاء بها يعني اننا نهدف إلى تخريج قصاصين وتكوين رواة للتاريخ وأوعية له . اننا نريد بالإضافة إلى تنمية قابلية الإلمام وحفظ الأحداث أن نعمل على غرس قابلية الاختيار والتمييز بين الغث والسمين ، واعتبار وجهات النظر المتباينة والموازنة بينها ، وحب التتبع والمقارنة والاستفادة من كل ذلك . ولا بد من لفت النظر وإثارة الاهتمام بالمكتبة الاسلامية ، وهي غنية ثرّة معطاءة .

وبالنسبة لدراسة السيرة الشريفة على وجه الخصوص لا بد من الاعتماد أولاً على القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث المعتمدة ،

وما رواه المسلمون من الأخبار الصحيحة في المؤلفات الموثوقة ، مع تمحيص هذه الأخبار على قدر الطاقة .

وإذا ما استقينا معلوماتنا على هذا الأساس عن هذه المصادر فسيبدو مضحكاً ما نجده في كتب المستشرقين الماكرين ومن تابعهم ، وسيبدو أن ما يَذْكرونه من صور لا يعرفها التاريخ الاسلامي وينكرها(١) . وذلك نفسه أيضاً سيدعنا في حصانة ضد كل انحراف أو إنتاج متهافت مغرض ، ويترك عقولنا واستعداداتنا مستنيرة لا تخشى أبداً سماع الاتهام ؛ بل قد ينفعها ذلك حيث يدفعها إلى معرفة الصواب ورد السهام . ويجعلها في حصانة ومناعة تستطيع الوقوف وحدها والصمود كما تستطيع رد الأمر إلى نصابه ومعرفة صوابه .

« ولا بد من النظر إلى التاريخ الاسلامي على أنه كائن حي لا يزال مرئياً ، مع إدراك مواقع الحوادث والوقائع في جسم هذا الكائن الحي »(٢) . ولعل ذلك يقتضينا أن تكون هناك مادة جديدة تدرس العالم الاسلامي المعاصر (حاضر العالم الاسلامي) شعوباً وأقطاراً ، وتُدرس في هذه المادة أيضاً أحوال المسلمين والمشكلات التي تواجههم ؛ كقضية فلسطين وقضية كشمير ، وغيرها من القضايا العديدة .

---

(١) انظر : اتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ص ٤٧ ــ ٤٨ .

(٢) سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ٤٥ .

وقد يقود هذا إلى إحداث مادة في الجغرافية باسم جغرافية العالم الاسلامي .

هذا وإذا ما كتب التاريخ الاسلامي على هدي هـذا المنهج فيجب أن يكتب للمستوى الجامعي وغيره من المستويات ومن بداية هذا التاريخ وإلى وقتنا الحاضر ، وحسب أسس من وحي هذا التاريخ نفسه واستشراف طبيعته ووقائعه ، وأن يكون هادفاً هادياً . ولا بد من الاستفادة والاستعانة بكل الإمكانيات العلمية والوثائق والمصادر بأية لغة كانت ، على أساس من الاستقلال وفهم طبيعة هذا التاريخ والاستنارة بأسسه ومقوماته وخصائصه .

● ● ●

ولا بد أيضاً من مراعاة قضايا كثيرة :

ـ بالإمكان إدخال مادة أو مزجها مع غيرها لدراسة مناهج التاريخ عند المؤرخين المسلمين .

ـ أن يكتب هذا التاريخ في مراحل الدراسة المبكرة بأسلوب شيق غير ممل ولا ثقيل ومن المستحسن أن يكتب بأسلوب قصصي .

ـ أن يُلغى أو يضيق نطاق تدريس التاريخ القديم (قبل الاسلام) من المراحل السابقة للجامعة ، على أن تُلقى نظرة في المرحلة المتوسطة على تاريخ الجاهلية في الجزيرة العربية كمدخل لدراسة التاريخ الاسلامي . وربما يكون مثل ذلك في نطاق أضيق في المرحلة الابتدائية . وفي الثانوية تلقى أيضاً نظرة أوسع على أحوال العالم المعروف كله قبل ظهور الاسلام ولنفس الهدف ،

ولا يهمل هنا استعراض مناسب لدعوات الأنبياء خلال مراحل تدريس هذا التاريخ .

ـ أن يلغى أو يضيق نطاق تدريس تواريخ الأمم غير الاسلامية ـ بعد ظهور الاسلام ـ في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة إلا في حالات الاحتكاك والاتصال العسكري والمدني ، السلمي والحربي مع هذه الأمم . وبصورة مختصرة ، تعطى عنها فكرة مبسطة كموضّح لدراسة و فهم تلك المواجهة .

ـ يدرّس تاريخ الأمم غير الاسلامية ـ بعد ظهور الاسلام ـ في المرحلة الثانوية لا كمادة منفصلة ولكن خلال دراسة التاريخ الاسلامي وفي نفس المقطع الزمني له . وإذا كانت هناك ضرورة لجعلها مادة منفصلة فعلى أن تكون بنفس الترتيب مجاورة لدراسة التاريخ الاسلامي .

ـ أن تدرس مادة السيرة النبوية وفقهها ، أو أحداث معينة في التاريخ الاسلامي أو تاريخ العالم الاسلامي المعاصر في مراحل الدراسة الجامعية في السنوات غير ذات التخصص .

ـ وإذا أريدَ إعطاء فكرة عامة عن التاريخ أو تزويد الطلاب بالثقافة التاريخية في هذه السنة العامة (غير ذات التخصص) فيمكن أن تُدَرّس كافةُ المراحل حتى الوقت الحاضر ، وقد يركز على تاريخ البلد ذاته ، وتأخذ كل فترة من المساحة بقدر أهميتها : وفي هذه الحالة حين نعرض لدراسة تاريخ ما قبل الاسلام يجب ألاّ نغفل دعواتِ الأنبياء وجهادهم ودَوْرهم في بناء هذا التاريخ وتشكيل وتوجيه أحداثه .

اما التوسع في تواريخ الأمم الأخرى غير الاسلامية ـ قبل الاسلام وبعده ـ فمكانه الطبيعي في الجامعة ، وفي أقسام التاريخ .

ـ إن ارتباطنا بالتاريخ الاسلامي واهميته بالنسبة لنا (وللعالم) يستدعي أن يكون اهتمامنا به أكبر وتعمقنا أكثر ، وهو أول واهم ما نعلمه لأبنائنا ، وكل تعمق وتوسع في غيره يكون في المراحل الجامعية وفي التخصص ، وإن كان يهمنا في هذه المراحل أن نتعمق في هذه التواريخ أيضاً .

ـ ويُقترح أن يُدَرّس شيء من التاريخ الاسلامي كالسيرة النبوية الشريفة في فروع الدراسة البعيدة عن الدراسات التاريخية والتاريخ الاسلامي خاصة ، والتي لا يقع ضمن تخصصها ، بحكم حقل دراستها ، نظرية كانت أو عملية .

ـ ولا بد من الاهتمام بمواقع التاريخ الاسلامي وأماكن أحداثه وما بقي من آثاره في كل العصور والأقطار .

ـ الا تَقْتَصردراسة التاريخ الاسلامي في كافة المراحل على سرد الأحداث المعينة ، ولكن لا بد من الالتفات إلى الجوانب الأخرى الفكرية والحضارية والاجتماعية وتقويمها ، ودراسة أبطال هذه الأمة ومواقفهم ـ في كل الميادين ـ خاصة أيام المحن والنكبات ، وهذا الأمر تبدو الحاجة إليه كثيراً في مرحلتنا الحاضرة .

ـ أن تُختار المقررات والكتب الأساسية وان تكتب المناهج في التاريخ الاسلامي بواسطة مَن فهموا خصائص الاسلام ومقوماته ، وألمّوا بحقيقة تاريخه ، الأمناء على أسلوب عرضه وصيانته .

ـ ويغدو من المفيد جداً في المراحل الجامعية خاصة إلقاء الأضواء على الاتهامات والشبهات التي أثيرت حول التاريخ الاسلامي، ومناقشة مصادرها ودوافعها على ضوء الواقع التاريخي الاسلامي ، وذلك بعد دراسة وقائع هذا التاريخ ومعرفة حقائقه . ولا بأس أن يكون (شيء من هذا) وفي نطاق أضيق في بعض المراحل السابقة للدراسة الجامعية ، شريطة ألا تكون هذه الدراسة على أساس اعتذاري توفيقي : أي بشعور المتهم المدان والشاعر بالنقص(١) .

---

(١) فإذا قيل مثلاً بأن الدين يناقض العلم ، تأثراً بأوروبا ، فليس الأفضل أن يكون ردنا فقط بإثبات أن الدين لا يخالف العلم ولا يقف ضد تطور الإنسان ، بل أيضاً لا بد من إبراز وتأكيد أن العلم ووسائل البحث العلمي ومناهجه هي بعض معطيات الاسلام ، الذي هو دافع للتطور السليم نحو الأحسن الأنفع ، وهو يسخّر كل ما حوله لخدمة الانسان ويوجب محاربة ما يضره منها . والاسلام يأمر بهما (العلم والتطور النافعين) وهو راعيهما وموجدهما ومؤسسهما ، أما عدم الأخذ بالعلم النافع فهو مخالف للدين ، بل إن من قواعد الاسلام أن يحمل الناس على السعي لطلب العلم وتحمل المشاق من أجله ، ويُعتبر الاسلام العلم والانتفاع بما سخر الله واكتشاف ما في الكون نوعاً من العبادة « إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ » سورة فاطر : ٢٨ ، « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » سورة الملك : ١٥ ، « أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » سورة الملك : ٢٢

←

وإذا كان رد التهمة ضرورياً فلا يجب أن يُشغلنا عن العرض المشرق لجوانب هذا التاريخ والدراسة الواعية له . وهي لا بد أن تسبق المناقشات والردود على التهم . وربما بهذا العرض نفسه تتهافت تلك الشبهات الظالمة(١) . ولذا فمن الأفضل أن

والمسلم هو العالم الذي يسعى وراء العلم ولا تصح له المحافظة على إسلامه دونه . ومن هنا فاق المجتمع الاسلامي غيره في العلوم ، والشواهد على ذلك كثيرة . وليس كالاسلام موجهاً نحو العلم ومهتماً به ومكرماً لأهله .

ويوم جاء الاسلام لم يكن للعرب علم ولم يملكوا منه شيئاً ، لكنهم بسرعة فائقة ساد بهم العلم وبغيرهم من المسلمين وانتعش بكل حقوله ، وغدا المجتمع الاسلامي في هذا المجال قدوة وإماماً .

ومَن غير الاسلام إذاً يدعو إلى العلم إذا لم يكن هو . والاسلام هو الدين الذي اعتبر العلم فريضة ، لكنه الجهل يخلق الوهم ، فليذهب هؤلاء الجهلاء الذي يثيرون مثل هذه الشبهات وليتعلموا ويعرفوا الاسلام ، وعندها سيبدون أمامه صفاراً ويظهرون معه أقزاماً .

(١) تلقى على الاسلام وتثار حوله شبهات كثيرة فعلينا الاّ ننشغل ونحن نرد عليها بمحاولة التوفيق وإلغاء التهمة . فكل يوم تخرج علينا شبهة : إن الاسلام ضد الحرية ، والاسلام ظلم المراة ، والاسلام ... ونحن نذهب محاولين إثبات أن الاسلام لم يقصر في حقوق المرأة او لم يحرمها شيئاً منها . والاسلام ليس ضد الحريات بأنواعها وغير ذلك . كل هذا صحيح ،
←

نبدأ بتدريس التاريخ وعرضه مشرقاً قبل التعرض لصد الحملات الظالمة ضده وتفتيتها بمعاولنا ورميها على رؤوس حامليها إذا لم يرعوُوا .

ومن المفيد جداً حين التعرض للحملات الظالمة الإلمام بالحركات الهدامة ، الداخلية والخارجية ، السياسية والفكرية ، المعاصرة والغابرة ، سواء أثارها أفراد أم جماعات .



ولكن يجب أيضاً أن يوضح بأن طبيعة الاسلام ذاته تتنافى مع الظلم والقهر وهضم الحقوق . وهل كانت للمرأة حقوق قبل أن يمنحها الاسلام ؟ وهل هنالك حريات أبلغ من الشكل الاسلامي وبالصورة التي نفذها به عملياً ؟ وهل يمكن للعبيد أن يمنحوا الحرية؟ إن هؤلاء الذين يتحدثون عن الحرية عليهم أن يحرروا أنفسهم قبل ذلك من العبودية لمختلف الجهات ولأنفسهم وشهواتهم . فالاسلام الذي جاء بالحرية الحقة هو الذي حرر الانسان : نفسه وعقله وروحه وكل عضو وجارحة فيه من كل أنواع العبودية الوثنية والبشرية وعبّده لله . والعبودية الحقيقية لله هي التي ترفض كل أنواع العبودية التي يخضع لها هؤلاء الذين يطلقون مثل هذه الشبهات على الاسلام . لقد حرر الاسلام الرؤوس كما حرر النفوس ولذلك كان بلال ، وهو الذي اشتراه سيده بالمال وهو العبد الأسود حين أسلم ، يشعر بأنه هو السيد وأن سيده هو العبد الحقيقي . وهكذا دائماً فالاسلام واهب الحرية ومانح الحقوق للناس ؛ ولا يعرف الحرية الحقة ويتذوقها غير المسلم .

وفي مجال تعليم المرأة لا بد من التأكيد على تاريخ المرأة المسلمة وجهادها في مختلف الميادين ، ودورها في بناء الحياة والإسهام في المواقف المتنوعة في اكثر من ميدان ، واهمية ذلك في تربية الجيل المسلم .

وحين تدريسنا لأبطال هذه الأمة ، رجالاً ونساءً ، لابد أن يكون ذلك شاملاً كل الميادين الانسانية : الفكرية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والتربوية ، ولا بد أن يشمل كل المؤسسات العامة في التعليم وغيرها ، وأنظمة الحياة ، واسهام المسلمين في كافة الاتجاهات ، ودورهم في بناء الحياة الفضلى وتعمير الأرض بالخير .

وإذا لم تتيسر دراسة كل هذه الجوانب في مادة التاريخ الاسلامي ، لاسيما في الجامعة ، فبالامكان تنفيذ ذلك أو جزء منه بواسطة وضع أو تعميم مادة **((الثقافة الاسلامية))** على كافة سنوات الجامعة . ولا بد أن تبقى مادة التاريخ الاسلامي ولا سيما السيرة النبوية الشريفة أو جزء منها في جميع أنواع الدراسات الجامعية مهما كان ميدانها .

وبالنسبة لكليات العلوم البحتة يمكن أيضاً لكل منها دراسة التراث الاسلامي المماثل لمجال تخصصها ؛ ففي كلية الهندسة مثلاً يدرس تاريخ الهندسة ونظرياتها وتطوراتها عند المسلمين وأثر ذلك على الأمم الأخرى . وهكذا بالنسبة لكليات الزراعة والصيدلة والطب وغيرها .

وربما من المفيد أيضاً لتهيئة دراسات في مختلف الحقول جعل موضوعات للمسابقة من قبل الجامعة . وكذلك لابأس بتشجيع طلبة الدراسات العليا وحثهم للعمل في موضوعات ذات أهمية بالغة ،

وان تكون أطروحاتهم في موضوعات تتعلق بهذه الموضوعـات التي صرفنا اهتمامهم لها .

وعلينا مساعدتهم على نشر إنتاجهم وترجمته إلى اللغة العربية إن كان قد كتب أصلاً بلغات أخرى ، إضافة إلى تشجيع البحوث عموماً بتقديم الجوائز العلمية التكريمية .

● ● ●

إن اهتمامنا بما سبق وتنفيذ ما نراه مفيداً وممكناً يعد خدمة كبيرة لهذا التاريخ الاسلامي المشرق ، ولا تنحصر فائدته في المسلمين بل تتعداهم إلى غيرهم ، والذين غلبت على نظرة أكثرهم الشبهات والتشويهات التي أثارها أعداء الاسلام حين عرضوا لـه ولتاريخه خاصة (١) ، سوف تتكشف لهم الحقيقة الناصعة ويروا مزايا هذا الدين ومزايا تاريخه السامية الرفيعة(٢) .

فمن المهم إذاً أن يعرض التاريخ الاسلامي بخصائصه وحقائقه على ضوءٍ من طبيعته ، وطبيعة العقيدة التي صاغته وأنتجته . وإلا فليس هو بتاريخ للاسلام .

وبكتابة التاريخ الاسلامي وتدريسه في جوه الطبيعي نسهم في إنشاء الجيل الذي يؤمن بالاسلام ويعتز بتاريخه . ويعمل على أن يعيد الدور الذي كان للاسلام في هـذه الأرض ، ويمكّن للدعـوة

---

(١) قارن : الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ص ١٧٦ ـ ١٨٩ .

(٢) محمد أسد ، الاسلام على مفترق الطرق ، ص ٥٤ ، ٦٠ .

الاسلامية فيها ، وينيرها ويعمرها بالخير والعدل ؛ كما عمرها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم على هدى رسولنا محمد ﷺ الذي تلقى رسالة ربه عزوجل ، فاداها كاملة ثم ادى اصحابه الأمانة وسلموها لمن بعدهم ، وهكـذا بقيت تنتقل من سلف إلى خلف ، وهي الآن تنتظر من هو اهل لحملها .



وبعد : فهذه محاولـة لإلقاء الضوء على تاريخنـا الاسلامي ودراسته وتدريسه أردنا بها كشف اللثام عن وجهه الحقيقي المشرق وصورته النيرة الرائعة ، والرجاء كل الرجاء أن تثمر .

ومن الله عز وجل السداد .

وما توفيقي إلا بالله العلي الكبير .

المصـــادر

القرآن الكريم

ابن الأثـير (عز الدين بـن الأثير) ، **الكامل في التاريـخ** بيروت ، ١٩٦٥/١٣٨٥ ، الجزء الثاني .

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي) ، **سيرة عمر بن الخطاب** ، تحقيق طاهر النعسان الحموي وأحمد قدري الكيلاني (ط . المكتبة التجارية) ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ

ابن حجر العَسقَلاني . **فتح البـاري بشرح البخـاري** ، القاهرة ١٩٥٩/١٣٧٨ ، الجزء الثالث والسادس .

ابن حجر العَسقَلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، القاهرة ١٣٣٢ الجزء الأول .

ابن حنبـل (أحمد بن حنبـل) **المسنـد** ، تحقيق أحمد محمـد شاكر القـاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ ، الجزء السادس ، ط . بيروت ، ١٩٦٩/١٣٨٩ ، الجزء الأول .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خَلدون) **المقـدّمة** ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٦٥ الجزء الأول .

ابن سعـد (محمد بن سعـد) ، **الطبقـات الكبرى** ، بـيروت ، ١٩٥٧/١٣٧٧ ، الأجزاء : الثالث ، الرابع ، السابع

ابن كثير (أبو الفِداء الحافظ ابن كثير) ، **البداية والنهاية** ، بيروت ـ الرياض ، ١٩٦٦ ، الأجزاء : الثالث والرابع والسادس والسابع .

ابن هشام ، **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ، ١٣٧٥/١٩٥٥ مجلدان (أربعة أجزاء) .

أرنولد (سير توماس و . أرنولد)
الدعوة إلى الاسلام . ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور عبد المجيد عابدين ، القاهرة ، ١٩٥٧

أسد (محمد أسد) ، **الاسلام على مفترق الطرق** ، ترجمة الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ، ١٩٦٥

الألباني (محمد ناصر الدين الألباني) **حَجّة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه** ، دمشق ، ١٣٨٧

حسين (الدكتور محمد محمد حسين) ، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** ، القاهرة ، ١٣٨٨/١٩٦٨ جزءان .

حسين (الدكتور محمد محمد حسين) **حصوننا مهددة من داخلها** الكويت ١٣٨٨/١٩٦٨ .

حميد الله (جمع وتحقيق الدكتور محمد حميد الله) ، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** ، بيروت ، ١٣٨٩/١٩٦٩ .

حنبلي (فيصل حنبلي) ، (أهمية علم التاريخ) ، مجلة **البعث الاسلامي** ، لكهنو (الهند) ، ذو القعدة ١٣٨٨ (فبراير شباط) ١٩٦٩ ، المجلد ١٣ ، العدد الخامس .

خالدي و فرّوخ (الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ) **التبشير والاستعمار** ، صيدا بيروت ، ١٩٦٤ .

دويدار (أمين دويدار) **صور من حياة الرسول** ، القاهرة (طبعة دار المعارف) بدون تاريخ .

دينيه (اتيين دينيه) وسليمان ابراهيم ، **محمد رسول الله** ، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد عبد الحليم محمود ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

رستم (أسد رستم) **مصطلح التاريخ** ، بيروت ، بدون تاريخ .

الريس (الدكتور محمد ضياء الدين الريس) ، **النظريات السياسية الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٦٦/١٩٦٧ .

الزِّرِكلي (خير الدين الزركلي) ، **الأعلام** ، القاهرة ، ١٣٧٣/١٩٥٤ الجزء الثاني .

السباعي (الدكتور مصطفى السباعي) ، **السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي** ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦١ .

السباعي (الدكتور مصطفى السباعي) ، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم** ، الكويت ، ١٩٦٨ .

شاتليه (أ . ل شاتليه) **الغارة على العالم الاسلامي** ، ترجمة وتلخيص محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، جدة ، ١٣٨٧ .

شيت خطاب (محمود شيت خطاب) ، **قادة فتح المغرب العربي** ، بيروت ، ١٣٨٦/١٩٦٦ .

الطبَري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ، **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)** ، الأجزاء : ٢ ــ ٤ .

الطنطاوي (علي الطنطاوي) ، **ابو بكر الصديق** ، القاهرة ، ١٣٧٢ .
الطنطاوي (علي وناجي الطنطاوي) ، **اخبار عمر** ، دمشق ١٣٧٩ / ١٩٥٩ .

عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور) **المدنية الاسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية** ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

عبد الحميد (الدكتور عرفان عبد الحميد) ، (المستشرقون والاسلام) ، مجلة **الوعي الاسلامي** (الكويت) ، السنة الثانية (١٩٦٦) العدد ١٦ .

عثمان (حسن عثمان) ، **منهج البحث التاريخي** ، القاهرة ، ١٩٦٥

عثمان (فتحي عمثان) ، **التاريخ الاسلامي والمذهب المادي في التفسير** ، الكويت ، ١٩٦٥ .

عرجون (صادق ابراهيم عرجون) ، **خالد بن الوليد** ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٣ .

فروخ (الدكتور عمر فروخ) ، **العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط** ، بيروت ، ١٣٧٨/١٩٥٩ .

القرضاوي (يوسف القرضاوي) ، **درس النكبة الثانية** ، بيروت ، ١٣٨٨/١٩٦٩ .

قطب (سيد قطب) **العدالة الاجتماعية في الاسلام** ، بيروت ١٩٦٦

قطب (سيد قطب) **معالم في الطريق** ، بيروت ، ١٩٦٧ .

قطب (سيد قطب) في **التاريخ فكرة ومنهاج** ، بيروت ١٩٦٧ .

قطب (سيد قطب) في **التاريخ فكرة ومنهاج** ، بيروت ١٩٦٧ .
١٩٦٧ .

قطب (محمد قطب) ، **معركة التقاليد** ، بيروت ، ١٩٦٧ .

لويس (الدكتور برنارد لويس) ، **الغرب والشرق الأوسط** ، ترجمة نبيل صبحي ، ١٩٦٥ .

المُبَرِّد (ابو العباس محمد المبرد) **الكامل** ، القاهرة ١٣٤٧ ، الجزء الأول .

مُسلم (ابو الحسين مُسلم بن الحجاج النيسابوري) **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٤، /١٩٥٥ الجزء الثاني .

المُنَجّد (الدكتور صلاح الدين المنجد) **اعمدة النكبة** ، بيروت ، ١٩٦٨ .

المودودي (ابو الأعلى المودودي) **الجهاد في سبيل الله** ، بيروت ، ١٩٦٢ .

الندوي (أبو الحسن علي الحسني الندوي) **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** ، بيروت ، ١٩٦٥ .

الندوي (أبو الحسن علي الحسني الندوي) **الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية** ، الكويت ١٩٦٥/١٣٨٨

الندوي (أبو الحسن علي الحسني الندوي) ، **نحو التربية الاسلامية الحرة** ، بيروت ، ١٩٦٩/١٣٨٨ .

النَّسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن دينار النسائي) **سنن النسائي** بشرح جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٩٣٠/١٣٤٨ الجزء السادس .

النشار (الدكتور علي سامي النشار) ، **شهداء الاسلام في عهد النبوة ، بيروت ، ١٩٦٧/١٣٨٧ .**

واط (مونتغمري واط) **محمد في مكة** ، تعريب شعبان بركات ـــ المكتبة العصرية ، صيدا بيروت بدون تاريخ .



للمؤلف

١ – تحقيق ودراسة لكتاب « المُقْتَبِس في أخبار بلد الأندلس » للمؤرخ الكبير ابن حَيّان القُرطبي ٣٧٧ – ٤٦٩ هـ) طُبِع ضمن سلسلة « المكتبة الأندلسية » ، ١٩٦٥ ، رقم ٤ ، تصدرها « دار الثقافة » في بيروت .

يتحدث هذا الجزء من « المُقْتَبِس » عن خمس سنوات (٣٦٠ – ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ – ٩٧٤ م) من أيام الحَكَم الثاني ، المستنصر بالله (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م) .

Critcial edition of « AL-MUQTABIS FI AKHBAR BALAD AL - ANDALUS », by Ibn Hayyan (d. 469/ 1076), Beirut, 1965. This volume, of « AL - MUQTABIS », descusses almost five years (360 - 4 / 970 - 4) of the Riegn of al - Hakam II (350 - 66/996 - 76) .

٢ – تحقيق ودراسة للنص الجغرافي المتعلق بالأندلس وأوروبا من كتاب « المسالك والممالك » تأليف الجغرافي الأندلسي الكبير أبو عبيد البكري ، (عبد الله بن عبد العزيز) ، (٤٠٥ – ٤٨٧ هـ) .

ظهر هذا النص تحت عنوان «جغرافية الأندلس وأوروبا» في بيروت.

١٣٨٧ / ١٩٦٨ . قامت بنشره دار الإرشاد « للطباعة والنشر والتوزيع » ، بيروت .

Critical edition of « THE GEOGRAPHY OF AL - ANDALUS AND EUROPE », from the Book « AL - MASALIK WAL - MAMALIK » by Abu Ubayd al - Bakri (d. 487 / 1094).

٣ – أندلسيات (المجموعة الأولى) ، بيروت (دار الإرشاد) ١٣٨٨ / ١٩٦٩ . ويضم بحوثاً ومقالات معظمها في التاريخ الأندلسي .

٤ – أندلسيات (المجموعة الثانية) ، بيروت (دار الإرشاد)، ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٥ – نظرات في دراسة التاريخ الاسلامي ، بيروت (دار الإرشاد) . ١٣٨٩ / ١٩٦٩ . ويعاد طبعه الآن (رمضان ١٣٩٥) .

٦ – الحضارة الاسلامية في الأندلس ، بيروت (دار الإرشاد) ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٧ – تاريخ الموسيقى الأندلسية . بيروت (دار الإرشاد) . ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٨ – أطروحة الدكتوراه ، باللغة الانجليزية :

ANDALUSIAN DIPLOMAIC RELATIONS WITH WESTERN EUROPE DURING THE UMAYYAD PERIOD, Beirut, 1390/1970.

٩ – بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٩٩ – ١١٥ ، بتصرف) :

" Political Relations between the Andalusian rebels and Christian Spain during the Umayyad Period", THE ISLAMIC QUARTRERLY (Published by « The Islamic Cultural Centre », Regnt's Lodge, 146 park Road, London N. W. 8, England.) Vol. X, Nos. 3 and 4, 1386/ 1966.

نشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من أندلسيات .

١٠ – بحث بالانجليزية :

"Intemarriage Between Andalusia and Northern Spain in the Umayyad periob", THE ISLAMIC QUARTERLY, Vol. XI, Nos. 1 —2, 1387 / 1967.

نشر بالعربية ضمن المجموعة الأولى من أندلسيات .

١١ – نقد ، باللغة الانجليزية ، لكتاب :

Review :

W. Montgomery Watt : A HISTORY OF ISLAMIC SPAIN (Islamic Survys 4), E. U. P., 1965, In « THE ISLAMIC QUARTERLY», Vol. X, Nos. 3 – 4, 1386/1966.

نشر (النقد) باللغة العربية ضمن المجموعة الأولى من أندلسيات .

١٢ – بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٢٧٢ – ٨١ ، بتصرف) :

" Two Unknown Embassies from a Frankish Monarch to the Court of Cordoba during the reign

of Al-Hakam II", THE ISLAMIC QUARTERLY, Vol. X, Nos. 1 – 2, 1386/1966.

نُشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من أندلسيات .

١٣ – بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٣٩ – ٥٤ ، بتصرف) :

"Christian States in Northern Spain duringthe Umayyad period ", THE ISLAMIC QUARTERLY, Vol. IX, Nos. 1 – 2, 1385 / 1965.

نُشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من أندلسيات .

١٤ – بحث باللغة الانجليزية عن الرحالة الأندلسي : ابراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطُرطُوشي (من الأطروحة ، ص ٢٢٩ – ٣٧ ، بتصرف) :

" Ibrahim Ibn Ya' qùb at - Turtùshi, Andalusian traveller", ISLAMIC CULTURE (published by the Islamic Culture Board, Hyderabed - Deccan, India.) Vol. XL, No. 1, Jan. 1966.

١٥ – بحث بالانجليزية يتناول جانباً آخر من شخصية الرحالة الأندلسي (ابراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطُرطُوشي) :

"At - Turtushi The Andalusian travller, and his meeting with Pope John XII", THE ISLAMIC QUARTERLY‘ Vol. XI, Nos. 3 - 4 , 1387 / 1967.

نُشر باللغة الإيطالية في مجلة :

RIVISTA STORICA ITALIANA, NAPOLI, ANNO LXXIX, FASC. 1, 1967, PP. 164 - 73.

١٦ – بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ١٥٥ – ٢٠٣ ، بتصرف) :

"The Andalusian Diplomatic Relations with the Vikings during the Umayyad period", HESPÉRIS-TAMUDA (Rabat, Morocco), Vol. III 1967.

١٧ – بحث بالانجليزية (من الاطروحة ، ص ١٤٠–١٥٢ ، بتصرف) :

"Political Relations of Andalousian rebels with the Franks during the Umayyad period", THE ISLAMIC QUARTERLIY, Vol. XII, Nos. 1 – 2, 1388/1968.

١٨ – بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٢٨٣ – ٨ ، بتصرف) .

"Diplomatic Relations Between Andalusia And Italy during the Umayyad Period", THE ISLAMIC QUARTERLIY, Vol. XII, No. 3 , 1388 / 1968.

نشر باللغة الإيطالية في نفس العدد من المجلة التاريخية الإيطالية (p.p . 158 - 64) المشار إليها في رقم ١٥ من هذه القائمة .

١٩ – بحث « القضاء ودراسته في الأندلس » ، نشر في العدد الأول (١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) من مجلة كلية الإمام الأعظم (بغداد) .

٢٠ – بحث « الكتب والمكتبات في الأندلس » ، نشر في العدد الرابع (١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) من مجلة كلية الدراسات الاسلامية (بغداد) .

٢١ ـ بحث « حول التراث والحضارة » نشر في العدد الخامس (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م) من مجلة كلية الدراسات الاسلامية (بغداد).

٢٢ ـ التاريخ الأندلسي ، من الفتح الاسلامي إلى سقوط غرناطة . صدر عن دار القلم (دمشق) ١٩٧٦ . كتاب جامعي يشمل كل تاريخ الأندلس السياسي خلال ثمان مئة عام ويقع في ٦٠٠ صحفة ، مزود بالخرائط والصور والإيضاحات الأخرى .

٢٣ ـ « العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع الهجري » .

كان الانتهاء من كتابته في رمضان ـ شوال ، ١٣٩٢ هـ (تشرين ١ ـ٢ ، ١٩٧٢ م) كتب بطلب من لجنة تكريم الأستاذ أبي الأعلى المودودي ليكون في كتاب يظهر بمناسبة بلوغه سن السبعين .

٢٤ ـ « ابن زيدون السفير الوسيط ، بحث كتب ليلقى في الاحتفال الألفي لولادة ابن زيدون (٣٩٤ ـ ٤٦٣ هـ) .

٢٥ ـ جوانب من الحضارة الاسلامية . رسالة صغيرة صدرت عن دار القلم ١٩٧٩ م .

